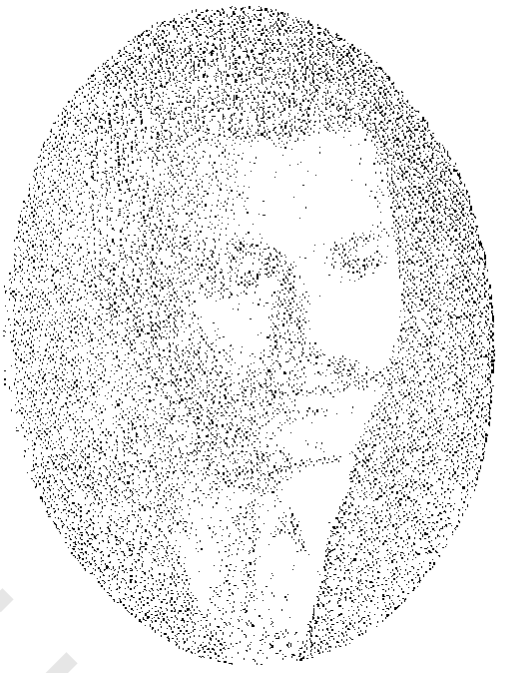

مصطفى كمال حمدى

* ولد فى مديرية المنيا عام ١٩٢٣ .

* تلقى ثقافته مشوهة ويجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية

* يميل الى كتابة القصة القصيرة وقد كتب حتى الآن قصة استغرقت كتابتها خمسة أعوام كاملة فى قسمين منفصلين كل قسم منهما قصة قائمة بذاتها بعنوان " البؤساء " سوف تنشر له فى الأسابيع القليلة المقبلة

* يكتب من العاطفة لا من الخيال ولا يتقيد بأسلوب معين فى كتابته فتارة تراه ساخرا الى آخر حدود السخرية وتارة أخرى تراه غاضبا ثائرا الى أبعد حدود الغضب والثورة

* يعمل فى شركة فيليبس أوريانت بالقاهرة .

obeikandl.com

نحو أدب جديد

مصطفى كمال حمدي

الإيمان . !	قصة وطنية
يانصيب . . . !	قصة اجتماعية
الثمن الرخيص ؟ ! !	قصة وطنية
نسر الليل .	قصة بوليسية
الكلاب . . . ؟ ! !	قصة وطنية
ثلاث كلمات صغيرات .	قصة . . . ؟
. . . أمهلهم رويدا .	قصة وطنية

obeikandl.com

ابن رحلة طولها ثلاثة آلاف ميل تبدأ بخطوة واحدة

هاكيم صيني

obeikandl.com

الإيمان

. . . ولكن ما أن أخرج من مكمنى وأرى جنود الإحتلال وهى تسير فى الشوارع وتنقل خطواتها الثقيلة فى زهو وخيلاء بينما يسير أبناءنا على مبعدة منهم وقد ملأ الخوف قلوبهم حتى أهرع عائداً إلى مكانى وأتناول سلاحى فى لهفة شديدة وتشتد قبضتى عليه حتى يكاد سطحه البارد يفجر الدماء من عروقى . . .

حبيبتى نانى . . .

حين عزمت على الرحيل وفراقك بغير وداع وبدون أن أراك كنت قد عاهدت نفسى على أن لا أكتب اليك ، ولكنى وجدت نفسى مجبراً على نقض هذا العهد والكتابة اليك حتى لا أصاب بالجنون .

إننى أتعذب . . . !!

إن كل جارحة فى جسدى تصرخ وتتألم ، والدماء تجرى فى عروقى محملة ببطاقات هائلة من المشاعر الفياضة التى ظننت أننى بقادر على كتمانها فى صدرى .

لقد أقسمت قسما رهيبا ، وكنت عند قسمى ، ولم أسمح للضعف أن يتسلل إلى روحى أو للوهن بأن يسرى فى جسدى وحطمت فى قسوة وحشية كل العقبات التى كانت تقف بينى وبين ما عقدت العزم عليه ، وخنقت كل الإعتراضات التى قامت فى وجهى ولكنى غفلت عن تقدير قوة هذا القلب الخافق الذى لا يكف عن الصراخ فى صدرى . .

لعلك تتساءلين عما دفعنى إلى هذا الاختفاء المفاجىء بعد أن كدنا نحقق سوياً ذلك الحلم الذى طالما داعب خيالنا فى العامين الماضيين . ؟ ! ؟

إن شواظا من اللهيب تستعر فى جسدى عندما أتخيلك جالسة تذرفين الدموع وتلعنين فى قرارة نفسك ذلك الحبيب الغادر الذى تركك بدون أن يقول لك كلمة واحدة .

إن جسدى يحترق فى نيران من الجحيم عند ما يمر بخاطرى أنك قد تعللين أسباب اختفائى المفاجىء تعليلا خاطئاً وتظنين أننى لم أعد أحبك .

إننى ألتمس لك العذر إذا كان مثل هذا الخاطر البغيض قد مر برأسك

الجميل وأنت تقدحين ذهنك محاولة البحث عن أسباب اختفائى الغامض .

لا ريب أنك قد أيقنت أننى قد أصبت بنوبة عارضة من الجنون دفعتنى لأن أختفى هكذا وأترك وراءى كل شىء حبيب إلى نفسى بعد أن أوشكت آمالنا الحلوة التى كلفتنا عامين طويلين من الانتظار المرير والكفاح الجبار أن تتحقق .

حبيبتى . . . اننى أسمح لك أن تظنى بى ماشئت من الظنون ، وأن تدعى قلبك المعذب وكرامتك الجريحة يمليان عليك ماشاءا لهما من الاتهامات ما عدا هذا الخاطر المقيت . .

اتعتقدين يا نانى أننى أستطيع الكف عن حبك ؟

أتعتقدين يا حبيبتى اننى قادر على منع الهواء من الدخول الى صدرى ليبعث فى جسدى الحياة ؟

اننى أستطيع الامتناع عن التنفس ولكنى لا أستطيع السيطرة على مشاعرى ومنع قلبى الخافق بحبك من الهتاف باسمك .

ان حبك هو الحياة بالنسبة الى . . . .

ان قربك هو نعيمى الذى أهرع اليه لأستريح تحت ظلاله الوارفة . . .

ألا تصدقين بعد ذلك اننى أتعذب لبعادى عنك ؟

أيجول بخاطرك وانت تعرفين كل هذا اننى خائن مخادع ترك حبيبته قبل موعد الزواج بأيام قلائل ؟ .

اننى اهز رأسى بشدة استنكاراً لهذه الفكرة البشعة ، وأود لو ظللت أطرق به هذا الجدار القائم بجوارى حتى أحطمه لأنه سمح لمثل هذه الأفكار الخبيثة أن تعرف طريقها اليه .

اننى جالس الآن اكتب اليك وعيناى تحملقان فيما حولى بنظرات

محمومة وقد انتابتنى رعشـــة جعلت القلم يهتز فى يدى مسجلا تلك الثورة الهائلة التى تمرح فى عروقى .

نانى — إننى تعس . . ! ! كلا . . كلا . . إن كلمة التعاسة ماهى إلا لفظ أجوف لا يعبر عن هذا البركان الذى يغلى فى جوفى وهذه الهزات العنيفة التى تنبعث من قلبى فتسرى إلى جسدى وتجعلنى أفقد توازنى وأرتمى على الأرض كيفما اتفق لأبللها بدموعى الساخنة .

حبيبتى — إن عزائى الوحيد فى هذا المنفى الذى اخترته راضيا نفسى هو مذكراتى التى تبتدىء من اللحظة المباركة التى التقينا فيها . .

إننى كلما سنحت لى الفرصة انتحى ركنا بعيداً عن أعين الناس واخرجها من جيبى واقلب صفحاتها بخشوع لأستمد من سطورها الغذاء الروحى الذى يبعث بالقوة إلى جسدى و يلهبنى بنار الكفاح . .

يا لموكب الذكريات الجميل . . ! !

أتذكرين يانانى كيف التقت عيناى بعينيك الساحرتين فى أول مرة . ؟

لقد ظللنا نتبادل النظرات مدة طويلة وأنا احس الآن بهذا الدبيب الناعم الذى سرى فى دمائى وتلك الرعشة المبهمة التى غمرتنى فى هذه اللحظة وأنت جالسة تحدقين فى أمواج البحر المتلاطمة الممتدة أمام عينيك فى كازينو كليوباترة فى الإسكندرية ، بينما كنت أنا جالس على مقربة منك أتطلع بنظرات تائهة إلى الصحيفة المنشورة أمامى ولا أكاد أقرأ منها حرفاً واحدا .

لقد حرصت على تدوين كل صغيرة وكبيرة فى مذكراتى ابتداء من هذه اللحظة الخالدة من عمرى والتى انقلبت بعدها حياتى رأسا على عقب .

لطالما تساءلنا بعد ذلك اليوم كيف تبادلنا الحديث فى أول مرة ، وكنا دائما نحتار فى الإجابة على هذا السؤال ولا نتذكر شيئا على الاطلاق عن الكيفية التى تم بها هذا بل كانت ذكرياتنا دائما تبتدىء من بعد ذلك بوقت

قصير حين أفقنا لأنفسنا ووجدنا جسـدينا متلاصقين ونحن سائران جنبا إلى جنب على شارع الكورنيش وقد تشابكت أذرعنا كأنما يعرف أحدنا الآخر منذ أبد الدهر .

كيف تمت هذه المعجزة يا نانى . ؟

من لى بمن يذكر لى حقيقة ما حدث فى هذه الفترة القصيرة التى سبقت سيرنا على الكورنيش . . ؟

هل تكلم قلبانا قبل أن تنطق شفاهنا بكلمة واحدة وانجذبنا إلى بعضنا تحت تأثير قوة قاهرة جعلتنا نتحرك مقتربين بعضنا من بعض ونحن مسلوبو الرشد ليجد كل منا نفسه فى آخر الآخر بجوار الآخر .

يقولون أن الحب لا يعترف بالأوضاع المعروفة ولا يعبأ بالقرانين ، ولكن مما لا شك فيه إننا فى ذلك اليوم قد بعثنا إلى العالم نوعا آخرا من الحب المجنون لم يعرفه أحد من قبل . .

لقد وجدت نفسى أضـع يدى فوق كتفيك الجميلتين وأنت جالسة بجوارى على ذلك المقعد الخشبى نتأمل أمواج البحر المتلاطمة فى طريق الكورنيش ، ووجدت نفسى وأنا أفعل ذلك أضغط بدون أن أشعر على كتفيك وأحسست فى هذه اللحظة كأنما فقدت القدرة على السيطرة على لسانى ووجدته لدهشتى يندفع فى طلاقة ليصب فى أذنيك بقوة وحرارة حبى الذى اندلعت نيرانه فجأة فى قلبى.

وشعرت فى هذه اللحظة بتغيير عجيب يعترينى وأحسست كأن قلبى قد انتفض من مكانه وأخذ يدور فى صدرى بعنف ثم يطير من بين ضلوعى ويسبح لحظة فى الهواء ويهبط ويقف أمامى على هيئة عملاق جبار ويرفعنى على أطراف أصابعه ويقذف بى إلى أعلى فى الهواء ثم يمد يديه ليلتقطنى وهو يضحك بمرح شديد .

وكان رأسى فى هذه اللحظة يدور . . ويدور وقد ثمل من خمر الحب الذى ابتدأ يلعب به حتى أن العجب لم يتملكنى وأنا أراك ترفعين إلى وجهك الفاتن وتهمسين إلى بصوتك العذب أن كل ما قلته لك ما هو إلا صدى لما تشعرين به أنت . .

كانت هناك قوة روحية هائلة تسيطر علينا فى جلستنا هذه ووجدنا أنفسنا وقد ذابت أرواحنا وأجسادنا وأصبحت أسيرة ذلك الشعور الغريب الذى تملكنا فغبنا عن صوابنا ولم نعد نحس بالعالم الذى يسير حولنا . ولا نعبأ بنظرات المارة المتطفلة التى كانت تتلصص على سعادتنا .

كم ضحكنا من قلوبنا بعد ذلك ونحن نتذكر هذه اللحظة . .

وكم أحسسنا بمقدار ما استولى علينا من الجنون ونحن نتبادل كلمات الحب بهذه القوة على ذلك المقعد بدون ان تكون لنا إرادة فى ذلك ولم يمض على لقائنا غير ساعة واحدة . ؟

يا لروعة هذه الأيام .

ترى هل تعود مرة اخرى يا حبيبتى . . ؟

هل نعود مرة ثانية ونندفع مثلما اندفعنا فى الماضى لنتهل من بحور السعادة بذلك الظمأ الشديد الذى شعرنا به بعد لقائنا ؟

هل نعود مرة اخرى إلى قطع ذلك الطريق الطويل من الرمل إلى سيدى بشر جيئة وذهابا ونحن لا نشعر بالدنيا ولا بالليل الى ارخى سدوله ولا نحس بالشوارع الى اقفرت من المارة فى ساعات الليل المتأخرة . . ؟

هل تفتح لنا أبواب النعيم مرة أخرى ونمشى متلاصقين وقد تشابكت أذرعنا وانت تسندين رأسك على كتفى تاركين النسيم يعبث بشعر رأسينا وضحكاتنا الهانئة تسابق الريح ؟

لكم كنت أود يا حبيبتى لو تركت هذه المذكرات ورائى حتى لاتفتحها وأنا أقرأ سطورها جروح قلبي ، ولكن عندما يعاودنى الحنين إلى ذكراك والتهم سطورها ، التى كنت أهرع إلى كتابتها بعد كل لقاء لنا كما يلتهم الوحش فريسة طال به البحث عنها والجوع يكاد أن يقتله . أحمد نفسى لأننى لم أرتكب مثل هذا الخطأ الشنيع .

لقد جلسنا على جميع المقاعد المنتشرة على طول شاطىء الاسكندرية ، وأنا كلما تذكرتك وانت جالسة إلى جوارى ترسلين الى جسدى تيارا صاعقا من عينيك الجميلتين وصوتك يسبح مع النسيم وانت تغنين أغانى الحب بصوتك الصافى وبحماس العاشقة الملتهبة العواطف وقد احمر خداك حتى كادت الدماء أن تتفجر منهما ، وعند ما أتخيلك وأنت تنظرين إلى بدلال بعد انتهاء كل مقطع من الأغنية وتتفرج شفتاك عن تلك الضحكة الحلوة الرائعة ـ انى كلما أتذكر احدى هذه الجلسات أضغط على شفتى بقوة لأمنع نفسى عن الصراخ والارتماء على الأرض أدقها برأسى حتى استخلص روحى من جسدى لأستريح من هذا العذاب .

أتظنين ياحبيبتى بعد كل هذا أنى قادر على منع نفسى من حبك ؟

ارجعى إلى قلبك لينبئك بالجواب . . .

عامان طويلان من الكفاح المرير لم تهن لى فيهما عزيمة ولم يغمض لى خلالهما جفن وكنت كلما توانيت أو دب التعب إلى جسدى أشعر كأن هناك سياطا من الحديد المحمى تلهب ظهرى وتقذف بى إلى الأمام .

لقد حطمت كل العقبات التى وقفت فى طريقى اليك وخضعت لجميع شروط والدك القاسية التى وضعها أمامى قبل أن يوافق على زواجنا وخيل إليه أننى سوف أتراجع أمام استحالة تنفيذها . .

لقد كان والدك يكره أن يزوجك إلى موظف صغير مثلى ولكنه لم يجد

بدا أمام رغبتك القوية غير الموافقة على زواجنا وكان ماكرا يريد أن يكسب الوقت فوضع أمامى هـــذه الشروط لكى يحطم روحى المعنوية ويضعف ثقتك بى ، تلك الشروط التى كان يمكن أن تاخذ منى عشرات من الأعوام لتحقيقها ..

ولكنها ياحبيبتى هى معجزة اخرى من معجزات الحب التى لا تنتهى ، لقد وجدت نفسى أطير طيرانا نحو تحقيق هذه الشروط ولم أتوقف لحظة واحدة لالتقاط أنفاسى اللاهثة حتى كدت أقتل نفسى من العمل المتواصل والدراسة المستمرة ، ولم أشعر خلال هذه المدة الطويلة بتعب أو إرهاق بل كنت دائماً أنظر اليك وأنت واقفة تنتظرينى فى نهاية الطريق فاوسع من خطواتى لازداد اقترابا منك .

وانت تعرفين ياحبيبتى كيف نجحت أخيرا وبسرعة مذهلة أدهشت والدك وغيرت رأيه فى وصار ينظر إلىّ فى احترام وتقدير وتسلل إلى قلبه بدون أن يشعر ريح هادئة لذيذة بعثها إلى قلبه ذلك الحب العميق الذى يملأ قلبى وبارك زواجنا فى غير تردد .

هل هناك أحد ياحبيبتى يصدق بعد كل هذا إننى اهرب منك بدون كلمة وداع واحدة؟

إننى أنا لاأستطيع اقناع نفسى بان هذا هو ماحدث . . . !!

لماذا هربت إذا ؟ !!

وماذا دهانى حتى اختفى على هذا النحو ؟ !!

هل انتابنى لوثة مفاجئة من الجنون أفقدتنى الصواب ؟!!

إننى يا حبيبتى لو ذكرت لك السبب الذى دفعنى الى الهرب منـــك فسوف لاتتمالكين نفسك من الضحك رغم المرارة التى تملؤ فك .

إننى أيضا لاأتمالك نفسى من الضحك وتخرج الضحكات من صدرى

كأنها الحشرجة تحمل آخر أنفاسي..

انني أنا نفسي لا أصدق ان هناك قوة في الوجود يمكن أن تبعدني عنك.

لقد خشيت الكتابة اليك في بادىء الأمر لأنني لم أجد في نفسي القدرة على شرح الأسباب التي دفعتني إلى فراقك وانت اعز واغلى شيء عندي في الوجود.

انك ياحبيبتي مهما فكرت ومهما قلبت في ذهنك عشرات الإفتراضات والمعاذير تفسيرا لغيابي فسوف لايخطر ببالك قط السبب الذي دعاني إلى ذلك.

انني اتردد في الكتابة وانا على وشك ان اذكر اليك السبب !!

انني استجمع شجاعتي لأقول لك انني هربت منك لأذهب إلى منطقة القتال...

كلا بالله عليك لاتدعي هذه الابتسامة الساخرة تتلاعب على شفتيك الجميلتين ودعيني احاول ان اشرح لك الدوافع التي اجبرتني على ذلك.

انك تذكرين بغير شك ذلك التغيير المفاجيء في طباعي ولفت نظرك نظراتي الساهمة التي تشرد كانت في بعض الاحيان ونحن جالسان معا والذي حدث منذ اسابيع قليلة.

لقد بدأ ذلك التغيير في طباعي عندما كنت ذات مساء جالسا اقرأ في كتاب واستمع الى اغنية رقيقة تنبعث في صوت هادىء من المذياع الموضوع بجواري وقد اوشك الليل على الإنتصاف عندما قطع المذيع تلاوة الأغنية ليقول ان القيادة الانجليزية قد وجهت إلى محافظ الإسماعيلية إنذارا تهدده فيه باتخاذ اجراءات معينة اذا لم يرجع الى ثكناتها أحد الطيارين الذي كان قد اختفى في ذلك اليوم، وحدد الإنذار للمحافظ مهلة غايتها الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي لاعادة الطيار المفقود سالما اليهم

وظللت بعد ذلك جالسا مدة طويلة وأنا أحدق فى جهاز الإذاعة بنظرات بلهاء وقد غلت الدماء فى عروقى ووجدت نفسى أتمتم بدون وعى

— لقد انطلقت الوحوش لتعبث فى الأرض فسادا مرة اخرى ... !!

ولم انم فى هذه الليلة بل ظللت ابحث فى مكتبتى المتواضعة عن كل كتاب يحمل تاريخ الاحتلال الانجليزى لبلادنا ..

ومضت الساعات القليلة الباقية من الليل ومع كل دقيقة تمر منها كانت الدماء تزيد فورانا فى عروقى حتى اذا مافرغت من القراءة نهضت من مكانى وفتحت النافذة واخذت احدق فى الأفق على ضوء خيوط الفجر الباهتة تاركا نسيم الصباح البارد يصفع وجهى ويهدىء من حرارة جسدى المحموم ..

وتراقصت امام عينى الحوادث القديمة وبعثت حية من مرقدها لتلطخ صفحة السماء الصافية بلون دموى قاتم ..

رأيت بوارج الانجليز وهى تدك حصون الاسكندريه منذ سبعين عاماً وأبصرت جنودها ينزلون إلى الشاطىء وشاهدتهم وهم يعملون القتل والتذبيح فى المواطنين العزل وصك مسامعى صراخ الفتيات والنساء عندما كان الجنود يلقون بهن فى عنف على الأرض ويغتصبونهن بوحشية بين ضحكاتهم المخمورة .

وتجسم أمامى على ضوء الصباح الباكر خيال مذبحة دنشواى وسوط الإرهاب الذى كان مصلتنا على رقاب المصريين فى ذلك الوقت حتى كاد أن يخنق أنفاسهم .

وتتابعت أمام عينى المناظر والحوادث متواصلة مستمرة يمسك بعضها بخناق البعض وكل واحدة منها ترشق فى جسدى سهاما مدببة من الحديد محمية على سعير من الجحيم حتى وصلت إلى الماضى القريب .

واصطبغ لون السماء أمامى بدماء الشهداء الذين سقطوا بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى منطقة القنال .

وعندما انبثق من الشرق أول شعاع ذهبى صادر من الشمس التى أوشكت تخرج من حجابها رأيته يتلوى فى خطوط اهتزت لها أهداب عينى ليرسم أمامى على صفحة الأفق البعيد حروف ذلك الإنذار المتعجرف الذى قدمته القيادة إلى محافظ الإسماعيلية بالأمس .

وأفقت إلى نفسى عندما شعرت بألم حاد يسرى فى يدى فنظرت اليها ووجدت اننى فى هياجى قد تركت أظافرى تنغرس فى خشب اطار النافذة بدون أن أشعر حتى أدميتهم ..

وأخذت أتساءل . . ترى لو كان هذا القائد الذى وجه الينا ذلك الإنذار يعرف أن فى هذه البلد قوة يخاف منها كان يقدم على مثل هذا العمل الأخرق ؟!!

لابد انه يعتقد اننا قطيع من الغنم نسير على هدى عصاه ونرتجف رعبا كلما لوح بها فى الهواء فوق رؤوسنا . .

اننى يا حبيبتى ألتمس العذر لهذا القائد إذا كان يعتقد ذلك لأن عنده من الأسباب ما يقوى هذا الاعتقاد ويغذيه .

ولم لا يؤمن بهذا الرأى !!

هل هناك شعب فى العالم كله كابد مثلما كابدنا من سنين الاستعمار الطويلة وتجرع كؤوس الهوان مترعه وهو لا يحرك ساكناً مثلما فعلنا ؟

كيف بالله مرت علينا كل هذه الأعوام الطويلة ونحن نسير وأعناقنا مقيدة بسلاسل غليظة تنتهى جميعها إلى سلسلة واحدة يمسك بطرفها قوم يسيروننا فى الاتجاه الذى يريده الانجليز ؟

إننى أضحك ياحبيبتى بمرارة تكاد أن تسمم دمائى .

لقد هللنا وكبرنا عند ما ابتدأ الراعي الانجليزي يتحسس أجسادنا ليجعلها ضحايا مطامعه وشهواته .

ورأى هو ذلك فتملكه الجشع — ومن ذا الذى لا يفعل عندما يرى أمامه لقمة سائغة يستطيع أن يبتلعها بدون أن تسبب له الماً فى حلقه .

ولما لم نحرك ساكناً ووجدنا نذهب لاهين إلى شؤوننا الخاصة وكل منا يتجه فى ارتياح لأنه لم يكن فى عداد الضحايا ورأى كل منا يبتسم فى شماتة لما يصيب الآخرين انطلق من عقاله وأخذ يعمل فينا الذبح والتقبيل ويسخرنا لمصالحه الخاصة وهو آمن مطمئن ولو انه كان يعجب عند ما يرانا ونحن ندوس بأقدامنا أبناء لنا أرادو الثورة على هـــذا الوضع الشاذ ورفعوا عليه راية التمرد والعصيان .

هل بعد كل هذا يا حبيبتى نلوم ذلك القائد إذا صفعنا بمثل هذا الإنذار الذى يحمل إلى أجسادنا فى كل حرف من كلماته وخزاً أشد إيلاما من وخز الابر الحادة . ؟

لو كان يخطر بباله أننا سوف نثور ونجعـــل الأرض تتزلزل فى قوة تحت أقدام جنوده المعسكرين فى منطقة القنال لكان فكر مراراً قبل أن يمر بذهنه مجرد فكرة توجب مثل هذا الكلام الينا .

ثانى . . . إنك يا حبيبتى بلا شك سوف تقفين عند هذا الحد من خطابى وتضربين كفا بكف وتترحمين على عقلى — ولكنى صبراً ياحياتى حتى انتهى ولك بعد ذلك أن تحكمى عما إذا كانت الكلمات التى اسطرها اليك هى مجرد هذيان شخص فاقد الوعى أو صرخات صادرة من أعماق كرامتنا الجريحة .

انك تذكرين كيف كانت أعصاب الجميع متوترة فى صباح اليوم التالى للانذار وهى ترقب بلهفة وقلق عقارب الساعة وهى تقترب من التاسعة .

وتركت عملي في هذا الصباح ووقفت إلى جوار أحد أجهزة الاذاعة عندما حمل الينا الأثير في تمام الساعة التاسعة صوت أحد رجال الثورة نابضا بالحياة ومليئا بالقوة والإعتداد بالنفس وهو يسخر من الانجليز ودسائسهم الوضيعة وتحمل نبرات صوته الينا كل معاني التحدي والاستهتار لقوتهم الغاشمة وفي طيات كل كلمة من حديثه احتقار شديد لهذا الانذار المهين وترحيب كبير للموت في سبيل الوطن ..

ووقفنا يومها جميعا صامتين نسمع في رهبة إلى حديثه ثم عدنا إلى أعمالنا وأمضينا بقية اليوم ونحن نعد أنفسنا لأسوأ الاحتمالات حتى حانت الثانية والنصف فهرعنا لنسمع نشرة الأخبار . . . ووقفنا لنسمع عجبا !!

لقد وجه أرسكين منذ عامين انذارا إلى محافظ السويس يقول فيه انه سيهدم قرية كفر عبده في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي فثارت الدنيا وطبلت ولكننا لم نسمع صوتا يرد على هذا المعتدي على حرياتنا والذي يريد أن يهدم مساكننا ويشرد أطفالنا ونساءنا ولم نعجب حين وجدناه يتقدم بدباباته وجيوشه لهدم القرية العزلاء في الموعد المحدد ولعله لم يحافظ على موعد في حياته مثلما فعل في ذلك اليوم .

إذا ما الذي حدث في خلال هذين العامين ؟

وما الذي جعل خليفة أرسكين يتراجع في انذاره ؟

هل أصاب دباباته الجمود ورفضت ان تتحرك من مكانها ؟

هل أعلن جنوده تمردهم عليه وعصيانهم لأوامره ؟

لقد زادت القوات الموجودة بمنطقة القنال عما كانت عليه في الماضي وكثرت طائراتهم ودباباتهم ، إذاً لماذا تراجع خليفة أرسكين وحاول أن يغطي موقفه ؟ .

هل إشتم في الجو خطرا لم يكن أرسكين يشعر به . ؟

هل شعر بالأرض وهى ترتجف من تحت أقدامه فى هزات خفيفة معلنة عن هذا البركان الذى يغلى فى جوفها ويوشك على الانفجار فى قوة لم يعرفه مثلها من قبل ذلك ؟ انفجار يجعل سطح الأرض يتشقق من تحت قدميه عن بغوه هائلة تبتلع جيوشه ومعسكراته فى غمضة عين .!!

لقد عرفنا جميعا الاجابة على هذه الأسئلة عندما تذكرنا ذلك البيان الذى ألقاه أحد رجال الثورة فى الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم التاريخى.

حبيبتى نانى . . . انى أتوقف لحظة عن الكتابة لأقبل صورتك الموضوعة أمامى وأبثها أشواقى اليك واعتـــذر لها على حشوى خطابى اليك بهذا الكلام الذى لم يحدث أن فكر أحد قبل ذلك فى كتابته داخل خطاب غرامى.

انى يا حبيبتى أكاد ألمح سؤالا حائرا يتردد على شفتيك الجميلتين . . . ولا ريب أنك تتساءلين وتقولين فى نفسك وما دخل مثل هذه الترهات فى زواجنا المنتظر الذى كنا نعد بفروغ الصبر الدقائق والثوانى الباقية على موعده ؟!!

ولكن صبرا يا حبيبتى فانا لم أنته بعد .

إننى حين أتزوجك سوف أكون مسئولا عن حمايتك أليس كذلك .؟

إذا أتستطيعين أن تقولى لى ماذا أفعل لو حدث واقتحم علينا مسكننا فى ظلام الليل جنود مدججون بالسلاح وقذفوا بى تحت أقدامهم ووطاؤونى بأحذيتهم الثقيلة ثم شدوك اليهم بعنف وتبادلوك بين أحضانهم ؟!!

إنك ترفعين عينيك فى دهشة واستنكار وتهتز يدك الممسكة بالخطاب اشمئزازا من هذا الكلام البشع وتقولين أن هذا لا يمكن أن يحدث قط فى القرن العشرين وإننى قد اشتطت فى خيالى وان هذه اللحمة الفجائية

التى أصابتنى جعلتنى أهذى وأخرف .

إننى أرجوك قبل أن تفعلى هذا أن ترجعى إلى الماضى القريب ، اننى لا أريد أن أثقل عليك بسرد تلك المخازى التى يندى لها الجبين والتى حدثت فى القاهرة عام ١٩١٩ ، كلا فقد كنا نحن فى بطون الغيب فى ذلك الوقت ، إننى أريد منك فقط أن تعودى بذاكرتك إلى ما حدث فى منطقة القنال منذ عامين على أثر إلغاء تلك المعاهدة المشئومه .

كم من النساء هتكت أعراضها وكم من الرجال وطئت أجسادهم تحت نعال الانجليز وكم من المواطنين الأبرياء تعرضوا لمختلف صنوف الجور والطغيان . .

لقد سرقوا أعراضنا وأموالنا وضربونا بأطراف نعالهم واندفعوا يجنون إلى الشوارع ينهبون المتاجر ويسرقون المسافرين ويقتلون فى سهولة كبيره كل من يقف فى طريقهم .

فهل تريدين ياحبيبتى أن يحدث لنا مثل هذا بعد أن نتزوج . ؟

إنك ولا شك تقولين لنفسك ومالنا نحو الإثنين وكل هذا اللغو الفارغ ولماذا لا نترك الآخرين يطردون الإنجليز إذا إستطاعوا ونتفرغ نحن لحياتنا الزوجية المنتظرة ، وهذه هى الأنانية المحضة ياحبيبتى .

إننى لا أعرف إذا كنت سأتمكن من إقناعك بوجهة نظرى أم لا ولكنى واثق من شىء واحد . .

إننى واثق بأننى سوف لا أتزوجك إلا عند ما أشعر بأننى سوف أكفل لك جميع أسباب الراحة والأمن وأجد فى نفسى القدرة على حمايتك .

لقد اشترط على والدك شروطاً قاسية لتحسين مستقبلى ومركزى

الإجتماعى لأكون جديرا بك ولم أتردد فى الخضوع لإرادته لأننى كنت أحبك بجنون وقد فعلت المعجزات حتى نجحت . .

ولكنى فى ذات ليلة أفقت لنفسى ووجدت أن على واجبات أخرى أقدس من تلك التى أملاها على والدك لأكون حقا جديرا بك..

نانى . . أيتها الحبيبة . . . يجب ان تتزوجى من رجل حر يستطيع أن يكفل لك كل أسباب الطمأنينة ولا يجرؤ إنسان على إقتحام مسكنه فى ظلام الليل .

نانى يجب أن تعرفى يا حبيبتى بأننى لم أذهب إلى منطقة القتال إلا لأننى أحبك حباً أقوى من الحياة .

يجب أن تتأكدى أننى قد ذهبت إلى هناك لأوطد دعائم عشنا المستقبل على أسس ثابتة لا تزعزعها الأهواء والأعاصير .

لقد ذهبت لأنقى الهواء الذى تستنشقيه حتى يصل إلى رئتيك خالصاً لايعكره غبار دبابات الإنجليز.

لقد ذهبت لأثبت الأرض تحت أقدام أطفالنا المستقبلة حتى لا نراهم يذبحون أمام أعيننا ونحن لا نملك أن نفعل شيئا لإنقاذهم ونعض بنانا من الندم بعد فوات الأوان . .

إننى حين أقارن بين ما كنا عليه فى الماضى من الخضوع والإستسلام وأحس بأثار السلاسل الغليظة على عنقى وأطرافى ، وبين حالتنا اليوم ونحن أحرار لا يقيدنا أى شىء ولا يفصلنا عن الحرية الخالصة غير معركة بسيطة اشعر بأننا سوف نضيع أحسن فرص العمر لتحطيم هذه الأغلال إلى الأبد وفتح نوافذ الوطن التى طال إغلاقها ليتدفق اليه نسيم الحرية .

إننى حين أستعرض أخبار الصحف الحافلة بأنباء الإعتداءات الوحشية التى تنزل بالمواطنين المسالمين فى العالم العربى أوقن بأننا سوف لاتقوم

لنا قائمة بعد اليوم إذا وقفنا لحظة واحدة لنفكر قبل أن نلقى بأنفسنا فى غمار المعركة الفاصلة بيننا وبين الانجليز .

ألم تقرأى أنباء تلك الإعتداءات المنكرة التى يتعرض لها المواطنون الأبرياء فى تونس ؟

ألم يصـــل إلى سمعك تلك الفظائع الهمجية التى تحدث فى مراكش كل يوم ؟

أرأيت كيف يبقر الجنود الفرنسيون بطون الرجال أمام دورهم فى وحشية رجل الغاب ؟

ذبح وتقتيل واضطهاد وقلاقل وخنق للحريات فى كل مكان . .

فى كينيا ومراكش والجزائر وإيران وفى كل مكان يجد فيه الإستعمار أيا كان نوعه ضعفا واستخذالا . .

إننى لو أردت أن أعدد لك المهازل التى تمثل كل يوم على أراضى البلاد المحتلة ونمر نحن بأعيننا على أنبائها ببساطة مر الكرام بدون أن نقف لحظة واحدة لنفكر فى احتمال أن يصيبنا مثلما ما أصابهم من المآسى فى القريب العاجل — إننى لو أردت أن أعدد لك هذه الفظائع فسوف أستغرق أعواما طويلة فى الكتابة قبل أن أنتهى . .

أتعرفين لماذا لا نتوقف عند هذه الأنباء ولا نتمعن فيها ولماذا لانسمح لأنفسنا بالتفكير فى احتمال أن نكون نحن عرضة لمثل هذه الفظائع التى تحدث بعيداً عنا ونقرأ أنباءها بلا اهتمام ؟

إننا لانفكر فى هذه الأنباء لأننا لانرغب فى التفكير ، ولأننا تعودنا أن نأخذ الأمور على علاتها . .

لقد تعودنا أن نسبح فى سماء الخيال لنبحث فى رحباتها الفسيحة عن

الأمانى التى تحن اليها أنفسنا وتصبو اليها أفئدتنا ولنفتش فى أجوائها عن حلا لجميع مشاكلنا حتى صرنا نثور ونملأ الدنيا ضجيجا على كل من يحاول أن ينتشلنا من خيالنا المريض ويدفع بنا إلى الواقع المرير ..

إننى حين أستعرض التاريخ أقف مذهولا أمام عظمة أولئك الرجال الذين تركوا أوطانهم ومنازلهم وكل شىء ورائهم ليذهبوا إلى الموت بأسمى الشعور كلما أحسوا بدخيل ينقر على أبوابهم محاولا أن يعكر صفو حريتهم .

إننى أنحنى إعجاباً كلما قرأت تاريخ أى أمة ناهضة بنت عظمتها ومجدها فوق أحجار من جثث أبنائها، وعندما استعيد فى ذهنى ذكرى أولئك الرجال الذين خلدوا عظمة بلادهم على مر التاريخ وسطروا بدمائهم أسماءها فى صفحات المجد والفخار أشعر بعرق الخجل البارد يبللنى واكاد أبصق على وجهى احتقاراً فى المرآة .. وأسائل نفسى فى عجب !

هل يختلف عنا هؤلاء الأبطال فى شىء ؟ !

هل وهبتهم السماء قوة أكثر منا وأسبغت عليهم الطبيعة شيئا غريبا لانفهمه ليميزهم عنا ويشعرنا بضعفنا كلما قارنا أنفسنا بهم ؟

إننى لاأظن ذلك واعتقد أنهم أفراد عاديون مثلنا تماما ومن المحتمل أن نكون نحن أكثر منهم قدرة على احتمال المكاره وأشد منهم جرأة لاقتحام المهالك ..

نانى يا حبيبتى . . إننى أحاول عبثاً أن أطرد هذه الأفكار الثائرة من رأسى لأكتب إليك قليلا عن حبى وعذابى من بعادى عنك ولأناجيك بعبارات الغزل والهيام التى تعودت أن أسكبها فى أذنيك ولكنى أجد نفسى دائما صريع هذه الدوامة العنيفة التى امسكت بى فى منتصفها واخذت تدور بى فى سرعة

زائدة ولا تريد أن تتوقف ..

إننى اشعر بأن كل كلمات الحب والغزل قد تلاشت من راسى فى هذه اللحظة لتفسح مجالا لهذه الكلمات التى تزدحم فى خواطرى ازدحاما مخيفا كل منها تحاول ان تقرب وجهة نظرى إلى ذهنك و تقنعك بصواب مافعلت

إننى احس بأنك لاتصدقين ان هذا هو السبب الحقيقى لهربى منك وانا لاألومك على هذا الإعتقاد الخاطىء لأننى غير قادر على تصديق نفسى إننى فى حاجة لأن ادور بنظراتى فى هذا المكان الغريب على ولأن اتحسس سلاحى فى كل وقت لأتأكد بأننى لاأحلم .

يخيل لى فى بعض الأحيان ان مافعلته ليس إلا نزوة عابرة نفذت الى رأسى فى ساعة تحمس ويجرفنى شوقى إلى رؤيتك فالقى بسلاحى لأطير إليك ولكن ما أن اخرج من مكمنى وأرى جنود الإحتلال وهى تسير فى الشوارع و تنقل خطواتها الثقيلة فى زهو وخيلاء بينما يسير ابناؤنا على مبعدة منهم وقد ملأ الخوف قلوبهم حتى أهرع عائداً إلى مكانى وأتناول سلاحى فى لهفة شديدة وأشتد قبضتى عليه حتى يكاد سطحه البارد يفجر الدماء من عروقى ..

حبيبتى — لو أن شخصا غيرك قرأ هذا الخطاب لما وجد فيه شيئا غير عادى وأنا لاأحاول أن أبدو بطلا فى عينيك فأنا الآن لم افعل شيئا أستحق عليه هذا اللقب وقد كان كل مافعلته هو ابسط الواجبات التى لايتردد اقل الناس فهما للامور على عملها .

إننى اشعر وانت التى تعرفيننى جيداً بنظراتك الحائرة وانت تقرأين خطابى الذى تبدو كلماته كألغاز بالنسبة اليك واجدك تتساءلين ....
ماالذى دفعنى لأن اتحول عن مبادئى فى غمضة عين وأنا الذى كنت

كافرا بكل شيء من قبل ذلك ؟

ماهى الأسباب التى جعلتنى أترك حبيبتى ونحن على وشك الزواج لأهرع إلى معسكرات التدريب ثم اطير الى منطقة القتال بعد ذلك إستعداداً للمعركة الرهيبة القادمة وأنا الذى كنت قد كفرت بكل من نادوا بذلك من قبل ؟

ماهى القوة الخفية التى سيرتنى تحت تأثيرها وجعلتنى أطلق راضياً كل شيء حبيب إلى نفسى لأقف أيامى المقبلة على القتال فى سبيل حرية بلادى ؟

لاريب أن هناك سببا أعمق من مجرد إنذار موجه من قائد انجليزى أرسله لمحافظ الاسماعيلية .. !!

انك تذكرين ياحبيبتى كيف كنت ألقى بالصحف جانبا فى عصبية زائدة عندما كانت أنظارى تقع على أنباء الاعتداءات الانجليزية على المصريين فى منطقة القنال فى الفترة التى تلت الغاء معاهدة ٣٦ فى اكتوبر منذ عامين تقريبا وكيف كنت أنت تشفقين على من هذه الثورة الجامحة التى كانت تتملكنى وتجعلنى أمسك بالصحف أمزقها بين أصابعى وأحولها إلى قطع صغيرة عندما كنت أقرأ أسماء الشهداء الذين كانوا يتساقطون كل يوم.

كانت كل جارحة فى جسدى تحترق من الغيظ كلما رأيت فى الصحف توابيت الشهداء ملفوفة فى الأعلام وقد ازدحمت من حولها جموع المشيعين يذرفون الدموع السخينة على أرواحهم الطاهرة .

خبرينى بالله عليك ياحبيبتى ماذا فعلنا للإنتقام لهذه الأرواح البريئة اكثر من ذرف الدموع وتشييع رفات الضحايا بكل مظاهر الاجلال والاحترام ؟!!!

لقد كنت أفضل ألف مرة لو أننا وراينا قتلانا فى صمت وهدوء ثم

تسللنا إلى معسكرات المعتدين الآثمين لنحيل حياتهم جحيما ونحصد منهم برصاصنا مايمكن أن يشفي غليلنا على ضحايانا الأبرياء لتستريح أرواحهم القلقة التي كانت ترفرف فوق رؤوسنا في توجع منادية بالإنتقام

كنت أقلب الصحف في لهفة بحثا عما يمكن أن يهدىء من أعصابي الثائرة ويطفىء هذه النار التي تلفحني لهيبا فلا أجد غير تصريحات جوفاء وكلام منمق مسطور بأسلوب انشائي بديع يبعث في الجسد بعد قراءته الدعة والاستسلام .

أين نيران الجحيم التي كان يجب أن تشتعل ويزداد لهيبها تحت عواصف الحقد ورياح المقت للمستعمر الغاصب ؟

أين الزلازل والبراكين التي تهز الأرض من تحت أقـــدام جيوش الإحتلال وتصرخ فيهم بصوت كزئير الوحوش الضارية قفوا أيها الجبناء؟!!

أين الرعد القاصف الذي يخلع أفئـدتهم من الرعب ويدوي في آذانهم صارخاً — أيها الأنذال سوف تدفعون الثمن باهظاً لحياة كل شخص يموت برصاص مدافعكم الرشاشة ؟

كانت هناك ملايين ترتجف من الحنق والغضب وعلى استعداد للتضحية بأي شيء في سبيل السماح لها لأن تطير إلى منطقة القتال لتلقى على الإنجليز درساً لا ينسونه أبد الدهر وتجعلهم يفكرون مراراً قبل أن يحصدوا برصاصهم المواطنين بغير حساب ..

وظل الجميع ينتظرون بلهفة شديدة وصبر نافذ صرخة القتال المنتظره.. وأرهفوا آذانهم لسماع نفير الجهاد وتحطمت أعصابهم من مرارة الإنتظار الطويل ... فماذا حدث ؟!!...

إستمر الإنجليز يصطادون المواطنين بمدافعهم السريعة الطلقات بنفس البساطة

التى تعودوا أن يشربوا بها أقداح البيرة بدون أن يحرك أحدنا كنا ولم نفعل شيئاً أكثر من تغطية جثمان الشهداء بالأعلام والتزاحم حولهم لتشييعهم فى إجلال إلى مقرهم الأخير تاركين الدموع تتدفق من أعيننا بغير حساب كأننا نريد أن نستجدى الرحمة من قلوب الإنجليز والعطف من العالم الخارجى

كان قواد الجيوش الإنجليزية ينامون ملء أجفانهم وهم مطمئنون لانهم يعرفون بأن كل هذه الضجة ماهى إلا مناورة سياسية سوف تهدأ بعد قليل وبعد أن تلتهم فى طريقها بضعة مئات من المواطنين الذين جرت العادة على التضحية بهم فى أمثال هذه المناورات .

كانوا واثقين بأننا لانعنى الكفاح أو أنهم كانوا على الأقل يعرفون أن من بيدهم مقاليد الامور كانوا لا يقدرون أهمية هذه اللحظة الرهيبة التى يتأرجح فيها مصير البلاد التى اكرمتهم ورفعتهم إلى الذروة — ولولا إيمانهم بذلك لما كان عدوانهم قد استمر فى الإزدياد يوما بعد يوم .

دعينى أضحك فى مرارة ياحبيبتى .

حتى فى هذه اللحظة الخطيرة من تاريخ حياة بلادنا لم يتورع كل فرد عن السعى واستغلال محنة الوطن لخدمة مآربه الخاصة ومطامعه الدنيئة

كنا قد اعلنا الحرب على الإنجليز وقطعنا عليهم مواد التموين ولكن هذه ايضا كانت مناورة سياسية تحمل نتائجها عدد كبير من تجار القنال بينما أثرت فى نفس الوقت فئة قليلة من المحظوظين ثراء فاحشاً من وراء تزويد القوات الانجليزية بكل مايحتاجون اليه من الأغذية .

كانت الصحف تهلل وتكبر وتنادى لإصدار قانون يصرح لكل مواطن بحمل السلاح حتى يتمكن قبل ان يسقط مضرجاً بدمائه من أن يرسل الى الجحيم بعض من اعتدوا عليه بدون حق وليكون فى هذا عزاءه الأخير ولا يفارق الدنيا مقتولا بالحسرة على حياته التى ذهبت

هدراً قبل أن يموت من تأثير رصاص الإنجليز ..
كانوا يصرحون علنا فى احاديثهم بان السلاح سوف يكون فى متناول كل مواطن بينما كانوا فى الخفاء يقبضون على المجاهدين فى منطقة القنال ويجردونهم من أسلحتهم ويلقوا بهم فى اعماق السجون كأحقر اللصوص .

كانت هناك عشرات من المهازل تمثل كل يوم وكنا جميعاً نعرفها ولا نملك أن نفعل شيئاً حيالها وأنت بلا شك تذكرين إننى لم أكن أخفى عنك شيئاً وكنت أنت دائما تخافين على من نتائج ثورتى الحمقاء كما كنت تسمينها وتتضرعين إلى أن لاأشغل نفسى بهذه السفاسف وأركز كل جهودى نحو سعادتنا المنتظرة .

وأخيراً خضعت والأسى يملأ كيانى لرغبتك إذ كنت أعرف أنك على حق إذ لم يكن هناك فائدة ترجى من هذا الحماس الذى كان يقابل بالإستنكار من كل من يسمعه ..

وكفرت بعد ذلك بكل شىء وانطويت على نفسى وأصبحت الأحداث التى تجرى من حولى لاتثير فى أدنى اهتمام ، وقاطعت الصحف لأننى كرهت منها ذلك التكرار الممل فى الثناء والمديح تارة وفى السباب والقدح تارة أخرى ، ولأننى أصبحت لاأصدق حرفا واحدا مما تقول .

وأقنعت نفسى بأننى كنت أحمقاً طيلة هذه المدة التى ضاعت من حياتى بدون فائدة وبلدت إحساساتى الوطنية وابتدأت الأنانية تتسلل إلى نفسى وعزيت ضميرى بأننى لاأعدو أن أكون غير فردا واحداً من ملايين المصريين ولا أملك أن أفعل بمفردى شيئا .

كنت أعتقد أن الذين بيدهم مقاليد الأمور فى بلادنا مامهم إلا جماعة من الدجالين الذين أتقنوا فن التهريج والشعوذة — إن هذا كان رأيى الخاص ومن المحتمل أن أكون على خطأ — ولما لم أجد من يقنعنى بخطأ هذا

الإعتقاد كفرت بهم وأصبحت لا أصدق حرفا واحدا من تلك التصريحات السخية التى كانوا يغدرون بها الأعصاب ويتشدقون بها بغير حساب

ولما كنت ياحبيبتى تعرفين أكثر من غيرك أن هذه آرائى فلا شك أنك الآن تعتقدين أننى أحاول من وراء هذه الخطاب أن أعطى هروبى منك وأتحلل الأعذار الواهية للتخلص من الزواج بك ، لأنك جد واثقة من أننى سأكون آخر من يذهب للقتال .. فأنت تعرفين جيدا أننى أكره أن أساق للذبح كالشاة وأبيع روحى رخيصة لمبدأ لا أعترف به وأقدم نفسى ضحية على مذبح سياسة عرجاء . .

إذا لا بد أن تكون هناك معجزة قد حدثت وقلبت آرائى رأسا على عقب وجعلتنى أستعيد إيمانى بعد طول كفر . .

نعم ياحبيبتى ... إن ماحدث لأشبه ما يكون بالمعجزات

أتذكرين يانانى ذلك الشعور الغريب الذى طوانا تحت جناحيه ونحن جالسان على ذلك المقعد الخشبى وأرغمنا على أن نتبادل كلمات الحب والهيام بقوة وحرارة ولم يمض على لقائنا غير ساعة واحدة ؟

أتذكرين ياحبيبتى كيف فقدنا السيطرة على مشاعرنا فى هذه اللحظة وغدونا أسيرين لقوة سحرية لاعهد لنا بها ؟

لقد حدث لى مثل هذا تماما وأنا أستمع إلى بيان أحد رجال الثورة فى صباح اليوم التالى للإنذار الذى وجهته القيادة الإنجليزية إلى محافظ الإسماعيلية بمناسبة اختفاء ذلك الطيار .

لقد أحسست يومها باشعاع غريب تدفعه نبرات هذا الصوت المتحدى إلى دمائى وشعرت بروحى العطشى ترتوى من كلماته النارية التى طالما حنت إلى سماعها ، ووجد حديثه طريقة إلى مشاعرى وأخذت كلماته تحطم فى عنف تلك السلاسل التى كانت تقيد مبادئى القديمة التى كاد أن يعلوها

الصدأ من كثرة الجمود، وتراخت أعصابي وأفسحت الطريق أمام ذلك الحماس القديم الذي ظل مخنوقا في صدري طيلة هذه الأعوام الماضية واندفع هائجا كالعاصفة مكتسحا في طريقه كل شيء ..

نعم ياحبيبتي إنها المعجزة الكبرى التي طال انتظار الجميع لها والتي يئسنا من حدوثها بعد أن حطم أعصابنا طول الإنتظار المرير ..

لقد تفجرت في أعماقي في هذه اللحظة ينابيع الإيمان فغسلت بمائها المقدس ذلك الكفر المبين الذي كنت سادرا فيه وأحسست بدبيب الأمل يسري في عروقي وامتلأ الهواء من حولي بدقات أجراس خفيفة وصلت إلى اذني خافتة كأنها صادرة من مكان سحيق ، ثم أخذت تعلو وتشتد وهي تقترب مني حتى أصبحت تدوي في آذاني مثل الرعد القاصف فصرخت من أعماقي بدون أن أشعر

— لقد دق ناقوس الحرية أخيرا ...

واستعدت منذ هذه اللحظة إيماني بكل شيء وأيقنت أن وقت المناورات السياسية قد انقضى وأن هناك رجالا يحترقون في هدوء وصمت لترفع من رؤوسنا التي كادت أن تلتوي من كثرة ماتعودنا من إحنائها وأصبح من الصعب علينا إعادتها إلى وضعها الطبيعي .

وغمرني في هذه اللحظة شعور غريب من الثقة والاطمئنان في هؤلاء القوم الذين يقفون في وجوه الإنجليز يتحدون الموت في بسالة وعلى وجوههم ابتسامات السخرية والاستخفاف لكل ماسيتعرضون اليه من أهوال .

وأصبحت على يقين من أنني أستطيع الآن الذهاب الى القتال بنفس لايعتريها القلق وأنا في غير حاجة الى الإلتفات وراءي في كل لحظة خشية خنجر غادر تسدده الخيانة إلى ظهري

عرفت فى ذلك اليوم انى اذا قذفت بنفسى فى معركة الحرية وسقطت فى ميدان الجهاد فسوف ينظر الناس إلى جثمانى بالإحترام اللائق برجل باع روحه لبلاده ولا تتراقص على شفاهم تلك الإبتسامة الهازئة التى تعودت أن تقفز إلى وجوههم كلما رأوا نعوش الشهداء محمولة على الأكتاف وخلفها آلاف المشيعين يذرفون الدمع السخين .

يا لروعة هذه المعجزة ياحبيبتى التى جعلت الحياة تجرى فى عروقنا مرة أخرى وياحلاوة هذا الإيمان الذى طرد اليأس والقلق المعشش فى أرواحنا ...

ماأجمل أن يكون المرء مؤمنا بنفسه وبكل مايدور من حوله وبكل شىء فى بلاده ..؟

إننا ننتظر الآن ياحبيبتى بفارغ الصبر دقات ناقوس الجهاد لننطلق من مخابئنا لنزلزل الأرض تحت أقدام المستعمر ولنذيقه من العذاب ألوانا لم يعرفها التاريخ من قبل ولنثأر لأعراضنا التى دنست ولكرامتنا التى وطأتها النعال ولنطفىء هذه النار التى ظلت تحرق صدورنا منذ عشرات السنين .

نانى .. ياأعز شىء عندى فى الوجود ..

هل غفرت لى الآن ذهابى هكذا بدون أن أقول لك كلمة واحدة . ؟

لقد خشيت القدوم اليك لإبلاغك بما أستقر عليه رأيى لأننى كنت أعرف إنك سوف لاتوافقين إطلاقا على ذهابى وأن الأنانية سوف تدفعك إلى الإمساك بى فأردت أن أضعك أمام الأمر الواقع لأننى كنت أخاف أن أضعف أمامك وأنزل عند إرادتك وكنت واثقاً من أننى إذا رأيتك قبل ذهابى فانك سوف تثنينى عن عزمى لأننى لا أتردد فى قتل نفسى لمجرد إشارة منك ، وكنت أفضل الموت ألف مرة على أن أتخلف عن الذهاب والسير

فى طريق الجهاد المقدس ولو لم أفعل مافعلت لما كنت أصفح عن نفسى طيلة العمر . .

لقد عشت طيلة حياتى أكره النفاق والتشدق بالكلام الأجوف ، فماذا كنت ستظنين بى بعد أن تفوقى من غمرة الحب المسيطر على عواطفك وتعرفين اننى لم أكن الا كاذبا ومنافقا مثل كل هؤلاء الذين كنت امقتهم طول الوقت .

حبيبتى — هل تريدين الزواج من رجل سوف يقضى طول عمره فريسة لتأنيب الضمير وفى أعماقه صوت رهيب يصرخ فيه وينعته بالنذالة والجبن ؟

ألا تعرفين أن الهواء الذى يدخل إلى صدرى يصفر فى أذنى ويسألنى عن الثمن الذى دفعته فى مقابل النهل منه بغير حساب ؟

إننى أردت أن أقاتل حتى أسدد ماعلى للوطن من حقوق وحتى اطمئن طول الأيام الباقية من عمرى بأننى لست عالة على أرضه المقدسه . .

والآن يامعبودتى أتوسل اليك وأرجوك أن تكفكفى دموعك وتدعى هذه الإبتسامة البديعة التى طالما سحرتنى ترتسم مرة أخرى على شفتيك ولا تدعيها تغيض عن وجهك أبدا وأن ترفعى رأسك بفخار وتطردى هذا الضعف المستولى عليك . .

إننا الآن ندق الأرض بنفاذ صبر ونستعجل ساعة الكفاح ونكاد نكون شبه عاجزين عن السيطرة على سيل الحماس الجارف الذى يوشك أن يكتسحنا فى طريقه ويجعلنا نندفع فى جنون الى غمار المعركة الفاصلة قبل الموعد المحدد .

إنى لم أشاهد فى حياتى مثل هذا الإيمان العميق الذى يلفنا فى طياته ونحن نتدرب فى هدوء استعداد لما ينتظرنا من أهوال .

اين هولاء الكفار الذين يقولون أننا غير قادرين على خوض هذه المعركة الرهيبة .؟

لكم وددت لو حضروا إلى هذا المكان واختلسوا نظرة إلى هذه العيون اللامعة التى يكاد الشرر المتطاير من نظراتها يحرق كل شىء فى طريقه . ورأوا بأعينهم مقدار مايبعثه أصحاب هذه الوجوه السمراء القوية من الرعب والفزع إلى القلوب .

إننا نشعر بأن المعركة قد اصبحت على الأبواب وقد لا اتمكن من الكتابة اليك مرة ثانية وازيد ان انتهز هذه الفرصة لكى اتوسل اليك مرة اخرى لأن تفكرى مليا فى الأسباب أجبرتنى على تركك هكذا ولا تلومينى لأننى هربت منك لأقاتل دفاعا عن المبادىء التى ظلت طيلة حياتى جزءا لايتجزأ من روحى .

نانى . . . يامعبودتى الفاتنة

إننى لا اجد فائدة من وراء قدح ذهنى للبحث عن بعض الكلمات الرقيقة لكى اسوق بها حبى اليك لأنك تعرفين ان مشاعرى نحوك لا يمكننى التعبير عنها بالكلمات . .

أرجو ياحبيبتى أن لاتدعى اليأس يتسرب إلى نفسك فسوف لايطول انتظارنا وسأعود اليك قريباً وقد امتلأ صدرى بنسيم الحرية الجميل لأعتصرك بين ذراعى ونعوض سويا مافاتنا من الأيام ونرتشف معا من السعادة فى كؤوس الهناء المترعة مايمكنه أن ينسينا هذا الإنتظار .

حبيبتى ... لى رغبة أخيرة أود أن أهمس بها فى أذنيك . .

انى أرجوك أن تكونى شجاعة وأن تتقبلى كل المحن القادمة فى

جلد وصبر وإيمان عميق بالمستقبل الباسم الذى ينتظرنا ...

حبيبتى ... إننى أعدك إذا رجعت سالما ، اننا سوف لا نقفل أبواب مسكننا قط وسوف ننام رغم ذلك ملء أجفاننا ونحن آمنين بأنه ليس هناك من يجرؤ على اقتحامها فى ظلام الليل .... وإن لم أعد فتأكدى أن روحى سوف تتبعك أينما ذهبت وتراقبك وأنت تسيرين فوق أرض الوطن الذى سنكون قد حررناه بدمائنا.. تنقلين خطواتك بأقدام ثابتة وتشمخين بأنفك إلى السماء فى زهو وخيلاء .

(.....)

يا نصيب . . !!

ما أجمل الصداقة بين البؤساء إنه من الجميل حقاً أن يصنع الإنسان معروفا حين يكون قادراً على ذلك . . ولكن بدون شك . . . ليس هناك أنبل من شخص يضحى بجزء من موارده القليلة لمساعدة صديق له فى حين أنه أحوج ما يكون إلى المساعدة . . .

obeikandl.com

جلس حسن على السور الحجرى المنخفض على شاطىء النيل بالجزيرة وأخذ يحدق فى المياه الزرقاء الهادئة الممتدة أمامه بنظرات ساهمة وهو أبعد مايكون عن الإستمتاع بجمال الطبيعة الرائع الذى يحيط به من جميع الجهات .

ورفرف طائر بجناحيه من فوق رأسه وسقطت على ملابسه بضعة أوراق جافة فرفع عينيه المتعبتان وأخذ يراقب الطائر بحسد وهو يقفز فرحا بين أغصان الشجرة ولا يهدأ عن الحركة وقال لنفسه . . . ما أسعد هذا الطائر . . . إنه حر طليق يمتلك كل شىء وينتقل من مكان الى آخر كما يحلو له . . . يسبح فى السماء الواسعة ويسخر الهواء تحت ضربات جناحيه الخفيفة ويلتقط طعامه بسهولة من أى مكان . . . لا يعرف الحزن ولا يشعر بألم الجوع فى أى وقت . . . أما هو . . .

وتنهد حسن من قلب ملوه بالأسى ورجعت نظراته الساهمة تحدق فى مياه النيل مرة أخرى وهو لا يكاد يرى منها شيئاً .

وظل حسن فترة طويلة مستغرقاً فى أفكاره الحزينة ثم انتفض جسمه فجأة كمن يفيق من حلم مخيف وابتدأت قسمات وجهه تنبسط بالتدريج وأشرقت فى عينيه نظرة لامعة مليئة بالعزم والتصميم وشعر بالراحة تتسلل إلى جسده الخائر عندما استقر رأيه على الطريقة التى سوف يتخلص بها نهائياً لشقائه وتعاسته ...

وهز رأسه لنفسه مؤكداً للفكرة التى نبتت فى ذهنـــه . . . نعم فلا توجد أمامه أية طريقة أخرى يمكن أن تنقذه من هذه السلسلة المتصلة الحلقات من البؤس والفاقه .

وتساءل حسن . . . لماذا يعيش ؟

وبدت له الحياة فى هذه اللحظة تافهة لا تستحق منه كل هذا العناء ولا ذلك الإصرار الشديد على التشبث بأهدابها .

لقد كافح اليأس طويلا ولم يدع للوهن أى منفذ إلى جسده وظل أعواماً طويلة يتجرع غصص الحياة بروح قوية وعزيمة ثابتة لا تتزعزع وإيمان عميق بأن الأمور لا بد أن تتبدل فى يوم ما وأن الفرصة ستتاح له لتحقيق أحلامه فى حياة ناعمة يستطيع أن يغترف منها من الراحة والهناءة ما يمكن أن يعوضه عن هذا الكفاح الطويل . . ولكن الأيام مرت حتى أصبحت أعواماً . . كانت كلها حافلة بالقحط والبؤس ، ولم يكف خلالها لحظة واحدة عن النضال وتجرع كؤوس الهوان والمذلة مترعة حتى أثرت جرعاتها القوية فى روحه وعزيمته كما يؤثر الخمر الردىء على الكبد الضعيف وجعلته وهو جالس فى هذه اللحظة يحدق فى مياه النيل ويقلب فى ذهنه ماضيه البائس ومستقبله المظلم يشعر بعدم قدرته على الاستمرار فى الكفاح أكثر من ذلك .

ومرت أمام عيناه ذكريات طفولته التعيسة ورأى نفسه وهو يقطع الطريق بين منزل والده الحقير ومدرسته ورأسه الصغير مملوء بالأفكار والآمال السعيدة التى كانت دائما تجعله لا يشعر بغبار الطريق المترب وهو يتصاعد إلى رئتيه وتطرد عن أذنيه صدى عبارات الهزء والسخرية التى كان زملاؤه يلاحقونه بها كل يوم كلما وقعت أبصارهم عليه فى ملابسه الرثة وأصابع قدميه البارزة من حذائه البالى . .

كان والد حسن موظفا فى احدى المصالح الحكومية عاش طول حياته فى حيرة دائمة ومعركة مستمرة للتوفيق بين مرتبه التافه وعائلته الكبيرة إلى أن هزمته المعركة فى آخر الأمر ففضل الموت تاركا زوجته من بعده وهى

تقلب الطرف حائرة بين يديها الخاويتين وابنها حسن وشقيقتيه .

وأحست والدة حسن كأن عبئاً ثقيلا قد انزاح من فوق صدرها عندما أرسلت اليها السماء من يتزوج ابنتاها بدون أن يتكلف الطرفان شيئا وركزت كل عنايتها واهتمامها فى ابنها حسن وبذلت جهود الجبابرة ولم تهدأ لحظة واحدة حتى جعلته يتم دراسته التى كان باقيا عليها عندما توفى زوجها عامان كاملان وهى تعلق عليه كبار الآمال وترقب بفارغ الصبر اللحظة التى سوف يتم فيها ابنها تعليمه ويشتد ساعده حتى يتحمل عنها أعباء الحياة ويوفر لها اسباب الراحة فى ايامها الأخيرة .

وهز حسن كتفيه فى الم عندما وصل هذا الحد من أفكاره وارتسمت على شفتيه ابتسامة مريرة وتساءل . . . ترى ماذا تقول عنه والدته الآن ؟.

لقد تركها حسن منذ ثلاثة سنوات فى منزل زوج شقيقته الكبرى على ان يعود لأخذها بمجرد العثور على عمل فى القاهرة . . . ومنذ ذلك الوقت لم يسمع عنها شيئاً .

لاريب أن والدته الآن تلعنه فى أعماقها . . . وقد غصت نفسها بالمرارة والألم . . . ولا تتوقف عن ذرف الدموع وهى ترفع يديها إلى السماء فى يأس . . . طالبة منها ان تهدى لها قلب ابنها العاق الذى ينعم وحيدا بالحياة الرغدة فى القاهرة وقد نسى والدته التى لا تكاد تجد جلباباً يريح جسدها الضامر من تلك الملابس البالية التى لازمتها اعواماً طويلة .

ودق حسن الأرض فى غيظ شديد . . . أنى لوالدته أن تعرف أن حال ابنها لم يكن بأحسن من حالها طيلة هذه الأعوام . . وكيف يستطيع أن يخبرها عن آلامه وهى تنتظر الفرج على يديه . ! ومن له بمن ينقل لوالدته شطرا من حياته المظلمه ويقول لها أن ابنها لا يعرف اين ومتى يستطيع ان يسكت صيحات امعائه الجائعة .؟

ثلاث سنوات طوال وهو يزرع الطرقات حتى حفيت قدماه وفى كل يوم منها يتبخر من رأسه جزء من أحلامه الذهبية التى كانت تملأه عندما قدم للقاهرة فى أول مرة . . وكان كل مايلاقيه من البـــؤس والحرمان لايؤثر فيه بقدر ما كانت تبعثه إلى نفسه ذكرى والدته وهى تجلس كل يوم تحصى الساعات والدقائق إنتظاراً لأنبائه ، من العذاب .

وهزته نوبة من البكاء عندما تذكر كيف وقفت والدته والزهو يطل من عينيها وهى تودعه يوم رحيله إلى القاهرة . . .

لم يكن هناك من هو أسعد منها فى تلك اللحظة . . وكانت لاتهدأ عن الحركة والتنقل من مكان إلى مكان فى سرعة ونشاط لتفرق على الجميـــع فيض من سعادتها التى شعرت بعجزها على كتمانها بين ضلوعها .

لقد هزت فرحة والدته وسعادتها كل شخص فى بلدته الصغيرة ورأى كل فرد أن من حقه المساهمة فى مساعدته فانهالت السلفيات على والدته من كل شخص حتى تمكنت من أن تجمع له عشرة جنيهات كاملة . . .

وعض حسن على نواجذه وهو يستعرض فى ذهنه وجوه الدائنين الذين يكونون فى مجموعهم أكثر من العشرين شخصا وهم يتوافدون على منزل زوج شقيقته ويلحون فى طلب نقودهم وهم يسلقون والدته بألسنة حداد ويتهمونها بالنصب والخداع . . ولم يجد حسن فى نفسه الشجاعة الكافية لأن يتصور كيف قابلت والدته الحاح الدائنين فى طلب نقودهم ، ولاريب أن زوج شقيقته قد ضاق ذرعا بهذا الجيش الذى لا يتوقف عن قرع بابه فى كل وقت والقى بوالدته إلى عرض الطريق . . . فهو لايستطيع أن يفعل أكثر من ذلك . . وحسن يعرف تماما أن زوج شقيقته لايكاد يجد ثمن طعامه إلا بشق الأنفس وهو إلى جانب ذلك مثقل بالأطفال ... والديون أيضا . . .

وحرك حسن رأسه فى قوة ليطرد منه هذه الأفكار الأليمة وليمنع خيالة من التوغل فيها ثم ابتدأ يستعرض حياته هو منذ أن وضع قدماه على رصيف محطة القاهرة وهو يحمل بحرص فى يده اليمنى شهادته المدرسية العريضة الجوانب وهى ملفوفة فى إعتناء وفى يده اليسرى حقيبة خشبية محطمة تحتوى على ملابسه القليلة ومن خلفه حمال يسير وعلى كتفه لفافة كبيرة محزومة بأحبال غليظة تحتوى على فراشه المتواضع وفى جيب سترته الداخلى أستقر باقى العشرة جنيهات التى زودته بها والدته قبل سفره وفى رأسه أحـــلام وآمال تكفى لأغراق العـــالم بأجمعه فى فيض من السعادة والهناء ...

وانحنى حسن وأمسك بقبض جاف من على الأرض وأخذ يحطمه بين أصابعه فى عنف شديد وهو يتمتم بصوت مسموع .. أين هذا المستقبل الباسم الذى كان يحلم به منذ سنوات ؟ وأين هذه الحياة اللينة السهلة التى كانت صورتها تقفز إلى مخيلته فى كل مرة ينظر فيها إلى شهادته المدرسية المتسعة الأرجاء ؟

لقد خيل اليه عندما قدم إلى القاهرة لأول مرة إنه قد انتقل إلى مكان سحيق بعيد عن العمران وأحس وهو يطوف فى شوارعها كأنه يسير فى صحراء قاحلة يوشك أن يموت فيها من العطش قبل أن يموت من الجوع ولم يطالعه فى كل مكان إلا وجوه ناطقة بالعداء والحقد والكراهية .. التى لم يدر لها تعليلا إلى اليوم ...

كان أول شىء وجه حسن عنايته له هو البحث عن غرفة يتخذ منها مسكنا .. وقد وجـــد بغيته بسهولة على سطح أحد المنازل العتيقة فى السبتية ، ورغم أن الحجرة كانت ضيقة الجوانب ولا يدخلها الضوء إلا من فتحة صغيرة فى أحد جدرانها إلا أنه شعر بالراحة وهو يضع فيها حقيبته

ويفرد على أرضها المترية فراشه القليل ، ولم تزعجه حقارة المكان الذى يقع فيه المنزل ولا القذارة التى تحيط به من كل جانب لأنه كان مؤمنا بأنه سوف لايمكث طويلا فى هذا المكان وسوف ينتقل قريبا إلى مكان أنظف وأكثر راحة عندما يعثر على عمل . . أضف إلى هذا أن الحجرة كانت لها مزاياها التى جعلته يقبل على استئجارها بدون تردد فقد كان إيجارها الشهرى لايزيد عن الخمسة عشر قرشا . . .

ولم يهدأ لحظة واحـــدة منذ أول يوم وصل فيه إلى القاهرة . . . ولم يترك مكاناً لم يذهب اليه وكادت أصابع يديه تتحطم من كثرة ما كتب من طلبات الإلتحاق إلى مختلف الأعمال وأوشكت أعصابه تنهار من كثرة ما تعرض للإرهاق فى الإجابة على الأسئلة التى كان يقابل بها فى كل مكان . .

وتعب بعد مدة من التردد على الدواوين الحكومية ولم يعـــد فى استطاعته أن يتحمل مزيداً من الاستقبال الفاتر الذى كان يقابل به فى أى مكان يذهب اليه وشعر بأن ذهنه قد أصبح عاجزاً عن هضم ذلك الاستخفاف العجيب الذى كانت طلباته تقابل به فى كل مكان .

كان الموظفون فى الدواوين الحكومية يقابلونه دائماً بهزة غـــير مكترثة من أكتافهم ويخبروه فى ضجر أن يعود مرة أخرى بعد أيام . . . . أما عدد هذه الأيام . . فقد كان هذا هو الشىء الوحيد الذى لم يتكرم أحد منهم على اخباره به

وعجب حسن كيف لايشعر هؤلاء القوم بهذا الجوع القارص الذى يفرى احشاءه وكيف لم يلحظوا هذه الصفره الشديدة التى تعـــلو قسمات وجهه النحيل والتى توحى لكل من يراه بأنه قد لايستطيع العودة مرة أخرى . .

وبعد أن إقتنع بعدم جدوى التردد على المصالح الحكومية وانه قد

أصبح معروفاً لجميع موظفيها وأحس بأنهم قد ضاقوا ذرعاً من غبائه وكثرة إلحاحه فى السؤال، ركز جهوده نحو الشركات والمحلات العامة وكل مكان يمكنه أن يجد فيه عملا عاجلا .

وأتعبه المشى .... وانبثق الدم من ظهر أصابع يده لكثرة ماطرق من أبواب وابتدأت دماء الخجل تختفى من وجهه بالتدريج وهو ينتقل من مكتب إلى آخر ومن مكان الى مكان حتى أيقن فى آخر الأمر بأنه غير مرغوب فيه ...

وتنهد حسن مرة أخرى فى عجب وهو ينقل بصره بين نجوم السماء التى ابتدأت تظهر على صفحتها الصافية بعد غروب الشمس وبين مياه النيل الغارقة فى ظلام الغسق ثم اخذ يتابع سلسلة أفكاره ..

كان يخيل اليه عندما كان يتردد على الشركات والمحلات العامة ان كل من يقابله يحاول جهده الوقوف فى طريقه ومنعه من الحصول على العمل الذى قدم من اجله ويشعره كانه يطلب شيئاً ليس من حقه المطالبة به ، وفى نفس الوقت كانت تطالعه دائما نظرات الإشمئزاز من ملابسه الرثه والسخرية من مظهره المزرى .... وكان يجد نفسه دائماً فى حيرة فى التوفيق بين مايلقاه من كل فرد من عدم الرغبة فى مساعدته للحصول على اى عمل يستطيع ان يوفر به لنفسه الإمكانيات التى تكفى لتحسين مظهره وبين نظرات السخرية والاشمئزاز التى كانت تقفز الى العيون عند رؤيته .

وانطلق من صدره تنهيدة حارة وهو يستعرض سلسلة الأعمال الحقيرة التى اضطر مرغماً فى بادى الأمر على قبولها لحاجته السريعة الى مايسد رمقه ثم صار يستجديها بعد ذلك فى إلحاح بعد أن عز عليه الحصول حتى على مثل هذه الأعمال ..

كان قد يئس من العثور على عمل يحفظ له كرامته ويتفق مع مؤهلاته

الدراسية وأضطرته الحاجة الى التماس أى عمل وفى أى مكان ، ولم يتردد فى قبول احقر المهن .. ولكن حتى هذا استكثروه عليه .. وقابل الجميع هذا الدخيل عليهم بنظرات الإستنكار والتعليقات الساخرة والنكات اللاذعة التى لم يكن امامه بد من ترويض نفسه على احتمالها ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ووجد أن كل فرد لا يألوا جهداً فى الكيد له والعمل على الإلقاء به الى عرض الطريق فى كل مرة يتمكن فيها من الحصول على عمل .

والآن ... هاهو يجلس يحدق فى مياه النيل العميقة ... شريداً ضالاً لا يكاد يحس بوجوده أحد ... وليس هناك من يفتقده اذا حدث وتلاشى الآن فجأة من مكانه ..

وأخـــذ يتأمل حذائه البالى بنظرات حزينة وهو لا يشعر فى نفسه بأى حنق على الدنيا أو على كل الذين اساءوا اليه ، وانما كان كل سخطه موجه الى شخصه . . . فلا ريب انه لا يملك من القوة والبراعة ما يمكنه من أن يشق طريقه فى الحياة بنجاح ويجعله يتمكن من أن يهيىء لنفسه حياة ناعمة مترفه مثل اولئك القوم الذين يلمح أضواء عرباتهم وهى تلمع فى الظلام من بعيد شاقة طريقها بسرعة مجنونه فوق كوبرى قصر النيل فى إتجاه المدينة ليلقوا بانفسهم فى غمار ملذات الليل الصاخبة ، وشعر بالسكينة تسرى الى روحه عندما عرف بأنه سوف يتخلص هـــذه الليلة من كل هذا الشقاء . .

كان لا يستطيع العودة إلى حجرته بأى حال فقد تكاثر عليه ايجارها ، وكان يسمع فى كل يوم من سباب صاحب المنزل ما يكفى لسداد ايجار حجرته أعواما طويلة . . . ولكن الأمر لم يتوقف عند مجرد السباب بل تعداه إلى التهديد وقد كاد صاحب المسكن أن يلقى به اليوم من أعلى المنزل ، ولم يستمع إلى توسلاته الملحة ولم يقبل أن يترك له مزيدا من الوقت لسداد

ما عليه من الإيجار المتأخر ولم يتمكن حسن من اقناعه بحسن نواياه وإنه سوف يسارع الى سداد ماعليه بمجرد أن تتحسن أحواله ، ولم يلق صاحب المنزل بالا الى اعذاره ويرق قلبه له وينسى ولو لمدة قصيرة انه يريد منه إيجارا الى أن تتوفر له النقود الكافية لذلك ولم يهمه شيء اكثر من القروش القليلة التى سوف تنتقل من جيب المستأجر الجديد الى جيبه، ولم يتوقف صاحب المنزل دقيقة واحدة ليسأل نفسه عما سيكون عليه أمر حسن بعد أن يقذف به الى عرض الطريق بدون ماوى أو عمل وأمعاءه تتلوى من الجوع ، ولم يشعر حسن بأى حقد على صاحب المنزل والتمس له الأعذار وقال لنفسه .. وماذا يهم صاحب المنزل من أمره .. ؟

وكان الى جوار صاحب المنزل عشرات آخرين من الدائنين فهناك صاحب محل الفلافل والبقال وبائع الخبز وغيرهم كثيرون ... وقد تعود حسن فى كل يوم ، عندما ينهكه التعب ويشعو بالرغبة الشديدة لاراحة جسده ويعود مضطرا الى مسكنه ، على الوقوف بذله ومسكنة ولسان متلعثم بشتى الاعذار تاركا كل الدائنين يتبادلونه واحد بعد الآخر صارخين لاعنين مطالبين بنقودهم .... وأما كيف يمكنه أن يدفعها لهم وهو عاطل عن العمل فهذا كان آخر شيء يفكرون فيه ... ولم يكن يهمهم على الإطلاق كيف يدفع لهم ماعليه من الديون وإنما كانوا يريدون نقودهم وكفى ..

ونهض حسن واقفا عندما وصل إلى هذا الحد من أفكاره وقد لمعت فى عيناه نظرة تصميم ثابتة وسار فى اتجاه كوبرى قصر النيل وعندما وصل إلى منتصفه توقف وارتكز بذراعيه على سوره الحديدى وأخذ ينظر حوله فوجد الكوبرى خال تقريبا من المارة وليس به أثر للحياة غير بعض السيارات التى كانت تمر به بسرعة ولا تكاد تلقى إليه التفاتا .

وخلع ســـترته ووضعها فوق الحاجز ثم رفع بصره إلى السماء

وتمتم بصلاة قصيرة وهم أن يصعد السور ليقذف بنفسه إلى مياه النيل ، عندما خطر له أن يترك فى جيب سترته خطابا لوالدته يودعها فيه ويشرح لها الأسباب التى أرغمته على عدم الإتصال بها ويطلب صفحها وغفرانها ، وشعر بأن هذا هو أقل واجب يجب عليه أن يفعله حيال والدته قبل أن يودع الدنيا إلى الأبد حتى تفهم موقفه على حقيقته ولا تظل تتابعه بلعناتها إلى آخر أيام حياتها ...

وفتش فى جيوب سترته عن قلم وورق فعثر على قلم صغير ولم يجد فى جيبه ورقا يصلح للكتابة غير ورقة بيضاء من أحد وجهيها فقردها على الحاجز الحديدى وكتب بسرعة بضعة سطور قليلة ثم تنهد بارتياح وأرجع القلم الى جيبه . . . وبينما هو يطوى الرسالة بإعتناء وقعت أنظاره على الكتابة المطبوعة على الوجه الآخر من الورقة فضحك فى سخرية مريرة عندما عرف فيها ورقة اليانصيب التى ضحى منذ أيام بآخر قرش فى جيبه ثمناً لها ..

ورقت عواطف حسن وغمرته موجة من الشكر والعرفان بالجميل عندما مرت بخاطره صورة سيد صديقه الوحيد .

كان سيد يقطن مع عائلته بنفس المنزل الذى يقع فيه مسكن حسن ويعمل خادماً فى أحد المقاهى وقد نشأت بين الإثنين صداقه متينة . . . وقد ظل سيد يخص صديقه بكل اهتمامه ومساعدته بدون أن يتفوه بكلمة تذمر واحدة أو يصدر منه فى أى يوم ما يمكنه أن يخدش إحساساته .

وتنهد حسن بعمق وقال لنفسه . . . ما أجمل الصداقة بين البؤساء ؟ . . إنه من الجميل حقاً أن يصنع الانسان معروفاً حين يكون قادراً على ذلك . . ولكن بدون شك ليس هناك أنبل من شخص يضحى بجزء من موارده القليلة لمساعدة صديق له فى حين أنه أحوج ما يكون إلى المساعدة .

وشعر حسن بمقدار جحوده عندما فكر فى مفارقة الحياة من غير

أن يودع الشخص الوحيد الذى رق له قلبه من دون كل هذا العالم الأنانى المحيط به .

وهز كتفه فى ضيق وأخـــذ يفكر بعمق فى هـذه المشكلة وهو يعبث بالرسالة التى كتبها لوالدته فى يده ، وهم أن يضع الورقة فى جيب سترته بعد اقتناع تماماً بعدم جدوى هـذا الوداع وأيقن أن من الخير له أن ينفذ ما اعتزم عليه فى هذه اللحظة قبل أن تخونه عزيمته ، عندما لمع فى ذهنه خاطر فجائى ففرد ورقة اليانصيب ورفعها الى عينيه ووقف مدة طويلة يحدق فيها بنظرات تائهة عندما عرف أن موعد سحب النمر الرابحة فى اليوم التالى .

وتردد بعـد أن طوى الرسالة مرة أخرى ووضـــعها فى جيب سترته وأمسك بطرف الحاجز الحديدى ليرفع جسده ويقذف بنفسه إلى الجانب الآخر ، كأنما يقاوم فكرة خطرت فى ذهنه . . . واستمر فى تردده فترة طويلة وهو واقف يحدق فى المياه المظلمة التى تجرى من تحته وسأل نفسه . . .

ـــ ماذا عليه لو أخر انتحاره يوماً واحداً ؟ !

إنه سوف لا يخسر شيئا إذا فعل ذلك . . . ومن يدرى فقـد تربح الورقة فتتبدل حياته فى غمضة عين ويصبح فى غير حاجة إلى الانتحار ؟.. ألم يلح عليه سيد للتضحية بآخر قرش فى جيبه لشرائها من أجل هـذا السبب . . . ؟

ووجد حسن نفســـه يمد يده ويتناول سترته ويرتديها ثم يستدير ويسير بخطوات متثاقلة عائدا إلى مسكنه .

وتنهـــد بإرتياح شـديد عندما تمكن من التسلل إلى حجرته فى هدوء بدون أن يشعر به أحد إذا كان الجميع قد آووا إلى فراشهم ، وبعد أن

أقفل الباب ورائه بدون صوت ألقى بجسده المتعب على فراشه الخشن، وسرعان ما كان يغط فى سبات عميق .

واستيقظ متأخراً فى صباح اليوم التالى وفتح عيناه بكسل ثم قفز واقفاً وتناول وعاءاً من الصفيح به بعض الماء موضوعا فى أحد الأركان وبعد أن اغتسل وارتدى حذائه خرج من الحجرة وهو يرجو أن يتمكن من الخروج بدون أن يلحظه أحد .

ومضى وقت طويل قبل أن يجد حسن نفسه فى الشارع وجسده يتصبب عرقا وهو يعزى نفسه بأن هذه هى آخر مرة سيتعرض فيها لمثل هذه المحن القاسيه ويجد نفسه مضطرا للوقوف والإنصات بذله إلى مطالبات الدائنين وسبابهم .

وقرر الذهاب إلى المقهى الذى يعمل فيه سيد وأن يجلس هناك بعض الوقت حتى يكشف على ورقة اليانصيب . . فاذا ربحت . فسوف لايكون فى حاجة إلى وداع صديقه . . وإذا لم . .

ودق الأرض بحذائه بقوة وأوقف أفكاره عند هذا الحد . . .

ورحب به سيد كعادته وأصر على أن يشاركه طعام أفكاره الرخيص الذى كان جالسا يتناوله عندما دخل حسن إلى المقهى ، وبعد أن فرغ الإثنان من ذلك تركه سيد جالسا بمفرده ومضى ليستأنف عمله . . ثم رجع إليه بعد دقائق وفى يده قدح من الشاى الساخن وضعه أمامه على المنضدة وابتعد مسرعا قبل أن يسمع عبارات الإحتجاج وكلمات الشكر التى كاد حسن يهم على النطق بها .

وشعر بقواه تعاوده بعد أن ملأ معدته وشرب قدح الشاى وأحس بدماء الحياة تسرى فى عروقه وأخذت أفكاره تدور حول ورقة اليانصيب الراقدة فى جيبه . . وابتدأ الأمل الشاحب الذى غزاه بالأمس

يتضخم ويتسع حتى ملأ عليه جميع مشاعره ، وازدادت دقات قلبه عندما عرف أن حياته معلقة على مصير هذه الورقة .

ومضى الوقت وهو جالس يفرك يديه بعصبية وقلق شديد ويبتهل إلى السماء أن تربح ورقته ، وأخذ يترقب مرور بائع اليانصيب وهو يدور فى مكانه بضيق واللهفة تكاد أن تقتله .

وعاوده الأمل فى الربح .. وابتدأ شعاع باهت من الراحة يتسلل إلى روحه المعذبة .. وتساءل لماذا لا يربح ؟ . إن السماء تعلم أن حياته معلقة على ظهور رقم ورقته فى أعلا كشف النمر الرابحة ، فكيف يمكنها أن تخذله ؟ ألم تهبه السماء الحياة من قبل ؟ فهل يعقل أن تتخلى عنه فى هذه اللحظة الدقيقة من حياته .. !!

وتمنى لو أن الذين يقومون بوضع الأرقام الرابحة يعلمون مقدار ما يعنى ربح ورقته إليه ، إنهم لو علموا أنهم سيهبونه الحياة بهذا الربح لما ترددوا لحظة واحدة فى اعطائه الجائزة الأولى .. إن هذا لا يعنى شيئاً بالنسبة إليهم .. إنهم يضعون عشرات الأرقام الرابحة فى كل يوم .. ولن يكون رقم ورقته إلا واحدا من هذه العشرات ...

وتنهد فى كآبة وضيق .. وظل جالسا يدق الأرض بقدمه بحركات عصبية .. وعندما أتت الساعة الحادية عشر كانت أعصابه قد انهارت تماما وأصبحت مشاعره موزعة بين اليأس والأمل .. وثارت فى أعماقه غريزة حب البقاء قوية جارفة إكتسحت كل ما كان قد عزم عليه بالأمس .

وبغتة تصلب جسده وخفق قلبه فى عنف عندما رأى بائع اليانصيب يظهر من بعيد ، وأخذ يتابع البائع بعينيه وهو يسير فى خطوات متلكئة متوقفا بين كل خطوة وأختها فى غيظ ويقول لنفسه ، ألا يستطيع

هذا الوغد الإسراع قليلا فى مشيته ؟ ألا يحس بلهيب النار التى تشتعل فى كل عضو فى جسمه من القلق والترقب وتكاد أن تحرقه ؟

وخيل إليه أن دهراً كاملا قد انقضى قبل أن يقف أمامه بائع اليانصيب فدعاه اليه بصوت مرتجف وأبرز له الورقة من جيبه طالبا منه كشف الثمر الرابحة الخاص بها ، ولم يصبر حتى يناوله له بل مد يده واختطف الكشف من يد البائع وأمسك به بين أصابعه المرتعشة وأخذت يده ترتجف بشدة وقلبه يكاد يكف عن الخفقان وهو يجيل عينيه الزائغتين فى رقم ورقته

ولم يرفع حسن رأسه فى الحال عن ورقة اليانصيب التى فى يده بل مضت فترة قصيرة قبل أن يرسل عينيه إلى كشف الثمر الرابحة كأنه يشفق على نفسه من النتيجة . . .

وظلت عيناه مسمرتان على الكشف المفرود بين يديه وابتدأت الدماء تهرب من وجهه وخيل للناظر إليه أنه يوشك أن يسقط مغشياً عليه فى مكانه . . .

وبحركات آلية لاأثر فيها للحياة أعاد حسن الكشف إلى بائع اليانصيب ثم أخذ يكور الورقة بين يديه بدون وعى ، ثم وقذف بها إلى أرض المقهى فى يأس كما يقذف الانسان بآخر أماله فى الدنيا . .

وظل وقتا طويلا جالسا فى مكانه وهو جامد لا يتحرك وعيناه تحدقان فى سقف المقهى وهو لا يكاد يرى شيئا من خلال ستار الدموع الذى يظللهما وبالرغم من أنه كان قد عزم على انهاء حياته فى الليلة الماضية إلا أن تأثير الصدمة كان شديد الوقع على نفسه بعد أن ظل ساعات كثيرة يمنى نفسه بالآمال والأحلام . . وشعر بعد أن انهارت آماله دفعة واحدة وبعد أن اندفع إلى حب الحياة مرة أخرى كغريق متخبط يطلب

النجدة ويبحث عن أى حطام ، بيأس قاتل يجترفه وبخيبة مريرة تملأ شرايينه .

ونهض من مكانه وتحرك صوب باب المقهى وهو يجر أقدامه من خلفه وقد انحنى ظهره وبدا كعجوز حطمته السنون ، وأخذ وهو فى طريقه إلى الخارج يمر بنظراته على كل قطعه فى المقهى بحزن كأنه يودعها الوداع الأخير .

— حسن افندى . . . ياحسن افندى . . ! ! !

توقف حسن بعد أن كان قد قطع مسافة كبيرة مبتعدا عن المقهى ونظر خلفه ليرى من الذى يهتف باسمه فشاهد سيد يهدو إلى ناحيته فى سرعة كبيرة ثم يقف أمامه وهو لاهث الأنفاس ويمد اليه يده بمظروف متوسط الحجم صائحا بحماس وبصوت متقطع من أثر الجرى

— لقد وصل هذا المخطاب الآن وهو معنون باسمك ...

ومد حسن يده فى لهفة واختطف المظروف من يد سيد والقى عليه نظرة سريعة ودق قلبه بشدة عندما لمح فى ركن منه اسم أحد المحلات التجارية التى كان سبق له التقدم لأداء امتحان فيها لوظيفة كاتب حسابات شاغرة وتذكر أنه كان قد أعطى لهم عنوان المقهى لأن منزله لم يكن له عنوان معروف .

وظلت نظراته مثبتة على المظروف مدة طويلة وهو يخشى أن يفتحه خوفا من أن تبعث محتوياته إلى نفسه بآمال جديدة لاتستطيع أعصابه أن تتحملها ولكنه لم يستطع مقاومة فضوله فمد يده فى آخر الأمر ومزق طرف المظروف وأخرج من جوفه ورقة مطوية فردها بين يديه وأخذ يلتهم سطورها فى سرعة كبيرة .

واهتزت يده وظهرت على وجهه دلائل الإنفعال الشديد ، وابتدأت الدماء تصعد إلى وجهه . . وبغتة رفع رأسه وانقض على سيد وأخذه بين أحضانه وأخذ يدور به فى الشارع كالمجنون وهو يصيح بفرح شديد

ـ لقد حدثت المعجزة أخيراً ياسيد . .

وغلبه الإنفعال والحماس فلم يتم حديثه وأخذ يتابع الدوران بصديقه في الشارع حتى لفت اليهما الأنظار .

ـ ماهذا الذي حدث ؟ وعن أي معجزة تتكلم ؟

تمكن سيد من التفوه بهذين السؤالين في آخر الأمر بعد أن هدأت حدة انفعال حسن . . فتنبه هذا الأخير إلى نفسه وفطن إلى نظرات المارة المتسائلة فاعتراه الخجل وسيطر على مشاعره وأمسك بسيد من يده واستدارا راجعين إلى المقهى وهو يقول له

ـ أنت تعرف أنني قد سبق لي أن أديت امتحانات عديدة في محلات تجارية كثيرة، وهذا الخطاب الذي وصلني الآن من إحدى هذه المحلات يقولون لي فيه أن اختيارهم قد وقع على لملء الوظيفة الشاغرة عندهم ويطلبون مني التوجه إلى مقر الشركة بمجرد وصول هذا الخطاب إلى يدي لأتسلم العمل

وتنهد حسن بصوت عال ثم أردف كأنه لا يصدق نفسه وهو يربت على كتف سيد بلطف

ـ لقد كان هذا الخطاب مفاجأة حقيقية لي . . بعد أن يئست من طول الإنتظار . . .

ولم يكن حماس سيد وفرحه لانتهاء متاعب صديقه بأقل من هذا الأخير . . وظل ينتقل بين المناضد بخفة وهو يزجي الخبر المفرح إلى كل إنسان . . .

واستأذن حسن صديقه في الإنصراف والتوجه إلى مقر إدارة الشركة لتسلم عمله ، فشد سيد على يده مشجعا ثم أسقط في جيبه ورقة مالية ذات فئة صغيرة ، فاغرورقت عينا حسن بدموع الشكر واستدار خارجا وتوقف قبل أن يخطو إلى خارج المقهى ورجع ثانيا الى الداخل

وانحنى وأخذ يفحص الأرض بنظراته كأنه يبحث عن شيء مفقود ثم تنهد في ارتياح عندما لمح ورقة مكورة ملقاة في أحد الأركان فمضى اليها والتقطها في عناية وفردها في حرص شديد . . .

ولا تزال ورقة اليانصيب معلقة الى يومنا هذا في إطار جميل في مسكن حسن افندي الانيق . . وكان لايفتأ أن يردد على مسامع زوجته كلما وقعت أنظاره عليها

ـ ماأرفع الخيط الذي يربطنا الى الحياة ياحبيبتي . . ؟ هل تصدقين أن هذه الورقة التافهة قد أنقذت حياتي في آخر لحظة بعد أن أطبق اليأس على من جميع الجوانب ؟

فتبتسم زوجته دائماً في حنان وتقول

ـ لم تكن ورقة اليانصيب هي السبب ياعزيزي . . . انه الأمل . . .

قريباً جداً . .

فتح جريء في عالم القصة المصرية الطويلة

الثمن الرخيص ... ؟!!

وتخدر جسده وأحس كأنه يسبح فى حلم لذيذ يرى نفسه فيه يبيع حياته إلى فتاة نبيلة القسمات حلت رأسها بتاج أنيق كانت كانت لآلئه الثمينة تشع فى عينيه ببريق يخطف الأبصار ، وقدوقف أمامها حشد كبير من أعداء بلاده يطل اليأس والمرارة من نظراتهم الحانقة وهم يدفعون للفتـــاة ثمن حياته ، وأدهشته تلك الأكوام الهائلة من النقود والجثث التى إنحنت الفتاة تفحصها بعين الخبير وعلى شفتيها ابتسامة راضية . . .

٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥١

كان الطريق المرصوف يلمع تحت أشعة الشمس الذهبية عندما كانت عربة الأمنيبوس منطلقة تشق طريقها بسرعة فى طريق السويس الصحراوى وعلى الجانبين امتدت الرمال الصفراء إلى أبعد مدى يصل اليه البصر وفى جوف العربة ارتفعت أصوات الركاب مختلطة ببعضها وهى تتبادل الحديث فى قلق وانفعال . . .

كانت الأنباء تترى عن إعتـــداءات القوات الإنجليزية المتكررة على المسافرين وتسهب فى تفصيل ما يتعرضون له من المذلة والهوان عند نقط التفتيش التى أقاموها فى مدخل السويس ، والإشاعات تنتشر بسرعة البرق عن الحوادث الفظيعة التى يقوم بها الجنود ضد المواطنين العزل منذ الغاء معاهدة سنة ٣٦ فى ٨ أكتوبر الماضى . .

وفى ركن العربة جلست امرأة وقور فى الحلقة الرابعـــة من العمر وبجوارها جلس طفل صغير لا يتجاوز الثانية عشر عاماً وقد خيم عليهما الصمت ، والمرأة تتململ فى مكانها بقلق وتفرك يديها فى حزن شديد غير ملقية انتباها إلى حديث الركاب بل كانت أفكارها تسبح بعيداً حيث يرقد ابنها الشاب فى احدى مستشفيات السويس يعانى الآلام من جراء إصابة حدثت له أثناء العمل . . .

وإهتزت العربة قليلا فالتصق الطفل بوالدته ، ولم تشعر به هذه الأخيرة بل استمرت تحدق بنظراتها الساهمة خارج نافذة العربة وهى غارقة فى أفكارها الحزينة .

كانت السيدة تلقى باللوم على نفسها لأنها أذعنت لرغبة ابنها الأكبر وتركته وذهبت الى القاهرة بصحبة شقيقه الأصغر لتمكث عند أقاربهم هناك حتى تستتب الأمور فى السويس ويعود اليها الأمن والطمأنينة اللذان فقدتهما بعد الغاء تلك المعاهدة المشئومة ...

وعضت السيدة على شفتها فى ألم وقالت لنفسها . . كان يجب أن لا أستمع اليه ، وأخذت تحتقر نفسها لأنها اقتنعت برأيه وسافرت للقاهرة خوفاً على حياتها وكان ضميرها لا يفتأ يؤنبها ويسألها موبخاً - هل حياتها أثمن من حياة ابنها ؟ !!

وهزت رأسها فى عنف وصرخ صوت فى أعماقها مجيباً - كلا . . كلا . . إنها تفضل أن تقتل عشرات المرات قبل أن يصاب ابنها بخدش واحد .

وشعرت بمقدار جريمتها فى حق ابنها . . أهكذا يجب أن تكافئه ؟ أنه لم يدخر جهدا بعد وفاة والده لتوفير أسباب العيش لها ولأخيه الصغير ولم يتردد فى قطع دراسته والسفر إلى السويس بدعوة من أحد أقاربهم الذى تمكن من أن يلحقه بعمل فى إحدى شركات الملاحة البحرية ، وعوضها من حنانه ورعايته ما فقدته بوفاة زوجها . . . وبعد كل هذا لا تتردد هى فى الهرب من جانبه لمجرد خطر تافه لاح فى سماء حياتها . . .

وأحست السيدة بالحقد يملأ قلبها على أولئك القوم الذين دفعتها أعمالهم إلى فراق ابنها الحبيب ، لقد كانت تعيش سعيدة مع ابناها راضية بما ترسله اليهم السماء من رزق قليل حتى ذلك اليوم الذى ألغيت فيه المعاهدة وأصبحت السويس كفوهة بركان على أهبة الانطلاق فى أية لحظة .

ولم تسمع السيدة إلى التحذيرات التى انهالت عليها عندما عزمت على الرجوع إلى السويس بعد أن وصلتها أنباء إصابة ابنها وذهابه إلى المستشفى ، واستنكرت أن يحاول القوم منعها من السفر والطيران والبقاء إلى جوار

ابنها الحبيب والسهر عليه فى محنته ، ولم يملك الجميع إزاء تصميمها القاطع إلا السماح لها بالذهاب ..

وقطع على السيدة حبل أفكارها وقوف عربة الأمنيبوس ، فتطلعت ببصرها من النافذة المجاورة لها فوجدت العربة تقف فى ذيل صف طويل من السيارات المختلفة ولمحت فى أول الصف عدداً كبيراً من الرجال يقفون فى طابور طويل فعرفت أنهم قد وصلوا إلى إحدى نقطة التفتيش الرهيبة .

وأخذت عربة الأمنيبوس تتحرك من مكانها ببطء كلما خلا أمامها مكان إحـــدى السيارات وقد علت فى داخلها أصوات الركاب وهم يتبادلون التعليقات على ماسيحدث لهم عند التفتيش وقد بدت فى أعينهم نظرات واجمة .

وأخيراً جاء دور عربة الأمنيبوس وأحاط بها من جميع جوانبها جنود حمر الوجوه مدججين بالسلاح صعد بعضهم إلى العربة وصاحوا فى الركاب بخشونة وهم يشيرون لهم بالنزول ..

والتصق الطفل الصغير بوالدته وقد استولى عليه الفزع فربتت هذه على كتفه مهدئة وهى تحاول إقناع نفسها بأن هؤلاء القوم سوف لا يعيروها انتباهاً . . . فماذا يطلبون من سيدة ضعيفة وطفل صغير ؟

وابتدأ الخوف يزحف إلى مشاعر السيدة وشعرت بأنها قد سمرت فى مكانها وهى ترقب فى رعب كيف أخذ الجنود يقذفون بخشونة الركاب إلى خارج العربة حتى خلت تماماً إلا منها ، وفى اضطرابها لم تدر ماذا تفعل فانكمشت فى مكانها وهى تحتضن ابنها بشدة كأنما تلتمس منه شجاعتها التى كانت قد فارقتها فى هذه اللحظة . .

واقترب أحد الجنود من السيدة وصرخ فيها بصوت خشن وقال لها بضعة كلمات بلغـــة لا تفهمها ، فأخذت تحدق فيه بحيرة فلما وجدها لم تتحرك من مكانها لكزها بكعب بندقيته وأشار الى باب العربة

فصرخ ابنها من الهلع فاحتضنته بين ذراعيها وأخذته من يده ونزلت إلى الطريق ..

ووقفت السيدة فى خارج العربة وهى تدور بنظراتها من حولها فى رعب وجسدها يهتز بشدة ، فامتدت يد أحد الركاب وجذبتها إلى داخل الطابور الطويل فوقفت وهى تشعر بأن قدميها عاجزتان عن حملها ...

وأخذت السيدة تنقل خطواتها بحركات آليه وراء المصطفين أمامها حتى جاء دورها التفتيش فوقفت كالمذهولة أمام جندى ضخم الجثة أحمر الوجه يعلق على كتفيه مدفعاً رشاشاً نظر اليها بفجة وابتدأ يتحسس جسدها بحركات دنيئة إقشعر لها بدنها ، وحاولت أن تلطمه ولكن الرعب الذى استولى عليها من المدافع المصوبة نحوها شل كل جزء فى جسمها عن الحركة ...

واستمر الجندى فى تفتيشها فى بطء قاتل وهى ترتجف فى وقفتها وكل جارحة فى جسدها تصرخ اشمئزازاً من هذا الإعتداء المهين على كرامتها وهى تكاد تسقط مغشياً عليها فى مكانها ...

وصاح الجندى الضخم الجثة بعد أن فرغ من تفتيشها ودفعها الى جانبه وأشار اليها بالانتظار ، منادياً أحد زملائه ثم تبادل معه حديثاً قصيراً ابتعد على أثره هذا الأخير متجهاً نحو إحدى الخيام القريبة .

وعاد الجندى بعد فترة قصيرة واقترب من زميله الضخم الجثة وهمس فى أذنه ببضعة كلمات انفجر على أثرها الأخير ضاحكاً ضحكة فاجره ثم أمسك بالسيدة من يدها بخشونة وأخذ يجرها ناحية الخيمة فاستولى عليها الجنون وأخذت تقاومه فى عنف وسرعان ما أحاط بها عدد كبير من الجنود أخذوا يدفعونها دفعاً إلى داخل الخيمة ...

وصرخ الطفل الصغير وهو يلمح والدته تختفى فى جوف الخيمة وحاول اللحاق بها ولكن أحد الجنود لطمه على وجهه لطمة قاسية جعلته

يتدحرج على الأرض ، ثم رجع إلى الوراء قليلا وشهر مدفعه السريع الطلقات فى وجوه ركاب عربة الأمنيبوس فتدافع هؤلاء إلى داخل العربة فى رغب واضطراب بينما تقدم أحد الركاب والتقط الطفل من على الرمال ورفعه بين ذراعيه ، والطفل لا يكف عن الصراخ وضرب الهواء بقدميه وحمله إلى داخل العربة ، وقبل أن يفكر أحد فى مصير المرأة التعسة أخذ الجنود يطلقون الرصاص فى الهواء بجنون ، فانطلق السائق بالعربة فى سرعة كبيرة كما لو كانت الشياطين تطارده ...

وعندما وصلت عربة الأمنيبوس إلى السويس ذهبت بركابها الى المحافظة وأبلغت البوليس عن الحادث وتطوع أحد الركاب - بعد الانتهاء من الإجراءات المعتادة فى مثل هذه الأحوال - لحمل الطفل الصغير الذى كان قد فقد وعيه واحمرت عيناه من كثرة البكاء الى منزله بعد أن استطاع أن ينتزع بصعوبة من بين شفتيه المرتجفتين محل اقامته .

ومضى على هذه الحادثة شهر كامل قبل أن يخرج أنور - ابن السيدة المفقودة - من المستشفى بعد أن استعاد صحته ليجد اخاه الأصغر راقداً يتلوى من الحمى ويهذى بكلام غير مفهوم فى منزل أحد جيرانه ، واستولى عليه الجنون عندما عرف بما حدث لوالدته وأسرع إلى المحافظة ولكنه لم يجد هناك من المعلومات ما يمكن أن يشفى غليله ، ولم يستطع احد أن يمده بنبأ يمكنه من معرفة أى شىء عن مصير والدته بعد اختفائها ، فسار يزرع الطرقات بخطواته باحثاً منقباً فى كل مكان يمكن أن يجد فيه خبراً عنها ، ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل وبدأ له كما لو كانت والدته قد تبخرت فى الهواء أو انشقت الأرض من تحتها وابتلعتها ...

وجلس انور بعد اسبوع من خروجه من المستشفى على احد المقاهى يتطلع إلى عربات الجيوش الانجليزية المصفحة وهى تطوف فى شوارع

المدينة ودماؤه تغلى فى عروقه كالرصاص المصهور .

كان لا يبكى والدته الآن ، لقد تأكد له تماما من أن والدته قد اختفت الى الأبد فى جوف حفرة فى رمال الصحراء الواسعة ، واكتسح الحقد والرغبة العنيفة فى الإنتقام من مشاعره كل إحساس بالأسى والحزن على نهاية والدته التعسة ...

كان جالسا فى هذه اللحظة يعمل ذهنه فى سرعة وهدوء وهو يحس بروح والدته الطاهرة ترفرف من فوق رأسه وتهيب به للإنتقام لشرفها الجريح وجسدها الطاهر الذى دنسه الأوغاد بأيديهم القذرة ...

ودق المنضدة التى أمامه فى عنف حتى كاد يحطمها ، وأخذ يطرد من رأسه عشرات الخطط التى يمكنه أن ينفذها انتقامه الرهيب ، وبدت له جميعها تافهة لا تطفىء النار المستعرة فى دمائه ، وكان يريد ان يكون انتقامه من الإنجليز هائلا مروعا يهز الأرض تحت أقدامهم ويجعلهم يخفضون من حدة أعمالهم الهمجية ...

وظل جالسا فى مكانه مدة طويلة وهو يدور حول نفسه فى قلق وضيق ثم اشرق وجهه بغتة وبدأ عليه كما لو كان قد استقر على رأى معين فنهض واقفا من مجلسه وأخذ يطوف فى أرجاء المدينة وبعد ساعتين كان يتسلل إلى منزل متواضع المظهر فى احد أحياء البلدة الهادئة برفقة احد اصدقائه

وجلس انور على أحد المقاعد الخشبية فى حجرة ضيقة وهو يدور فى مقعده حول نفسه فى نفاذ صبر ثم نهض واقفا عندما فتح باب الحجرة ودخل إليها صديقه برفقة شخص طويل القامة متين البنيان مهيب الطلعة اسمر الوجه بادىء القوة لعينيه نظرات نفاذه لا يملك المرء امامها الا ان يغض من بصره

وبعد ان تبادل الجميع كلمات الترحيب المعتادة فى اقتضاب جلس الرجل يستمع الى قصة انور فى صمت ثم هز راسه ببطء عندما كاشفه هذا الأخير بالسبب الذى قدم اليه من أجله وقال له بهدوء

إننى على استعداد لمد يد المعونة اليك وإعطائك كل ما تطلب من المفجرات والأسلحة ولكن . . .

وتردد الرجل برهة ثم استطرد .

ـ ولكنى أرى أنك إذا انضممت الينا وعملت تحت لوائنا . . فانك سوف تنتقم لوالدتك عشرات المرات لأننا نعمل تحت نظام دقيق ولا نتحرك إلا لتنفيذ خطط مرسومة و . . . .

فقال أنور بأدب مقاطعاً .

ـ إننى أشكرك يا سيدى على كرمك ولكنى عقدت العزم على تصفية حسابى مع الانجليز بمفردى وإذا قدر لى ورجعت من مهمتى سالما فثق من أننى سوف لا أتردد دقيقة واحدة عن الإنضمام اليكم لأن رغبتى فى الإنتقام لوالدتى ستظل تحرق دمائى طالما فى جسدى عرق ينبض بالحياة .

فتطلع اليه الرجل بنظرات فاحصة ثم سأله

ـ ولكن ماذا تنوى أن تفعل ؟

وتردد أنور . . . . كان يعرف أنه يستطيع الثقة بهذا الرجل ، ولكن الظروف المحيطة به كانت تجعله يشك فى كل شخص ، ووجد نفسه يقول .

ـ سوف تعرف ذلك فى الوقت المناسب ياسيدى ، أما الآن فأنا أرجو أن لا يضايقك إذا إحتفظت بهذا السر لنفسى

فهز الرجل كتفيه فى قلة اكتراث ثم قال بلهجة الهادئة .

ـ أنت وشأنك . . . ولكن تذكر . . . أننا ندافع عن غرض اسمى من الإنتقام لوالدتك ، واننا إذا كنا نحن نقاتل الآن بوحشية وبكل ما نملك من قوة فليس ذلك لأجل الإنتقام لفرد واحد وإنما لننتقم لعشرات الألوف من إخواننا الذين هدرت كرامتهم على مر السنين وسقطوا يتضرجون فى دمائهم ضحايا أبرياء لأنهم أرادوا أن يعيشوا كما خلقهم الله أحراراً . .

— إننى أريد الانتقام لوالدتى وكفى . . ! !

— اتعنى أنك لم تفكر فى الإنتقام من الانجليز إلا بعد أن لحقك شرهم فى شخص والدتك ؟

— نعم . .

— إن هذا لهو منتهى الأنانية . . ! ألم تر بعينك من قبل كيف يتساقط المصريين من رصاص مدافع الإنجليز الرشاشة كأوراق الشجر فى الخريف ؟ ألم يبعث إلى مشاعرك مرأى دماء الضحايا الأبرياء وهى تلطخ الشوارع فى كل مكان الرغبة التى تجيش فى نفسك الآن ؟ .

فقال أنور وقد بدأ عليه الهياج .

— أرجو أن أوضح لك شيئا يا سيدى . . . لقد رأيت عشرات المواطنين يقتلون وهم يسيرون آمنين فى الشوارع بدون ذنب إجنوه . . وشاهدت كيف يعتدى الجنود الإنجليز بوحشية على كل فرد لمجرد التسلية . . ولكنى لم أستطع أن أفهم لماذا يفعلون ذلك ؟ ولماذا لا توجد مقاومة منظمة ذات أثر فعال تحد من تصرفاتهم الهمجية ؟ وتلفت من حولى باحثاً عن إجابة لهذه الأسئلة الحائرة فهالنى الأمر . . . ووجدت أنه من الأوفق لى أن أنجو بنفسى بعيداً عن هذه المهزلة التى تمثل أمام أعين الجميع فى قحة وتبجح بعد أن رأيت كل شخص يسير فى الاتجاه الذى تمليه عليه مصالحه الخاصة وأهواؤه الشخصية . . وكأن الأمر لا يعنيه فى شىء .

— ولكن الصحف تقول أن المسئولين قد أحكموا وضع خططهم وأعدوا لكل شىء حسابه ...

— سحقاً لهذه الصحف . . . انها تتكلم كثيراً ونجدها جميعا مزينة بالعناوين المثيرة وصفحاتها عامرة بالتصريحات الخطيرة المتضاربة والمواضيع الانشائية البليغة والكلام الأجوف مما يضطر المرء لأن يجد نفسه

حائراً بينها لا يعرف أى واحدة منها يصدق ولا يكون أمامه غير الإنصات إلى ملايين الإشاعات التى يتناقلها الجميع ويرددونها فيما بينهم فى ثقة الغريق الذى أمسك بحبل النجاة ...

وصمت أنور برهة ليلتقط أنفاسه ثم استطرد .

ـ وليس من الغريب بعد كل هذا أن تجد الجميع يلتمسون الهرب من الميدان وقد تبلبلت أفكارهم وأصبحوا لا يعرفون ماهو واجبهم فى مثل هذه اللحظة الخطيرة من تاريخ حياة بلادنا ، ويثقون ثقة عمياء فى لو أن الانجليز كانوا يعرفون بأنهم سوف يدفعون ثمن كل هذه الإعتداءات غالياً لما تمادوا فى عدوانهم يوماً بعد يوم وآن ...

وقاطعه الرجل بحركة خفيفة من يده وهو يقول .

ـ كفى ... !! دعنا لا نطرق هـــذا الموضوع مرة أخرى ، انى مثلك أسمع كثيراً من الإشاعات ولكنى لا ألقى بالا إلى ما يتهامس به الجهلة من الناس ، ولا أصدق أى نبأ إلا بعد أن اتأكد تماما من صحته . لأنى أعرف أن الإنجليز قوم نبغوا فى فنون السياسة الملتوية وتعودوا على كسب كثير من المعارك بدون أن يطلقوا رصاصة واحدة ، وذلك باستعمال أسلحة أشد فتكا من القنابل المحرقة والغازات السامه ، وكلامك الآن هو خير برهان على انهم قد نجحوا فى مهمتهم بتفوق فانت تقول انك الآن حائر لا تدرى ماذا تفعل ، وهذا هو تماما ما يرمى اليه الإنجليز من وراء بذر الإشاعات والأكاذيب المضللة ...

وحاول انور ان يقاطعه ولكن الرجل أوقفه باشارة من يده ثم استطرد قائلا .

ـ أنا اعرف ماذا تريد ان تقول ... وأنا لا اجزم لك بأن من بيدهم مقاليد الأمور عندنا يبعدون عن مواطن الشك فهذا شىء يلمسه كل من

عنده اقل فهم للأمور .

وصمت الرجل لحظة ونظر إلى انور بعينيه النفاذتين ثم ربت على كتفه بلطف وقال .

- سوف أسدى اليك نصيحة يا بنى ، فقد تجدى فيك هذه النصيحة وتجعلك تتحول بحماسك للإنتقام لمصير والدتك التعسة إلى غرض أسمى وأنبل ...

وتردد الرجل برهة قبل أن يقول .

- هل تعرف أننا نقاتل بروحى من أنفسنا وليس هناك أحد يدفعنا الى ذلك ، واننا نلاقى أشد الصعوبات فى الحصول على ما يلزمنا من الأسلحة والذخائر وتضطر فى غالب الأحيان الى القتال بالأسلحة البدائية وبالخناجر او بما نسرقه من أسلحة الإنجليز أنفسهم . . ؟ وياليت أن الأمر قد وقف عند هذا الحد ، لقد حاولت جهدى أن أضم جميع الفدائيين تحت قيادة واحدة منظمة تكون فى مجموعها قوة مرعبة تقلق راحة الإنجليز وتبعث الفزع إلى قلوبهم ، ولكنى لم أفلح رغم ما بذلته من تعب فى هذا السبيل وذلك لأننى وجدت كل فرد يريد أن يظفر وحده بالتصفيق والتهليل . . . وهكذا تضيع قضية الوطن وتتمزق ..

وابتدأ صوت الرجل يعلو ويشتد حتى غدت نبراته كحد السيف وهو يتابع حديثه .

- ولكنى رغم على لكل هذه الحقائق فإنى لم أتردد لحظة واحدة فى القيام بالواجب الذى يمليه على ضميرى . . . . إن امامى كرامة وطنى الجريح فى كفة الميزان . . . ولا أكاد ألقى بالا الى ما عداها . . . دع الجميع يفعلون ما يشاءون ، دعهم يقيمون فى وجوهنا كل ما تمليه عليهم نفوسهم الوضيعة ومآربهم الشخصية من العقبات ، انى لا أهتم قط بما يفعلون ولا أقف لحظة واحدة لأحكم على أعمالهم ، فما هم إلا أشخاص وأفراد يعدون على الأصابع سوف تختفى مهما طال بها الزمن . . . ولكن الوطن خالد لا يموت . . ،

قد يبدو هذا الكلام غريب الوقع على آذانك لأنك لم تتعود سماعه من قبل ، ولكنى واثق يا بنى أن اليوم الذى سوف تسمع فيه كل مصرى يتكلم بمثل ما أقول آت لا ريب فيه وحينئذ سوف تجد كل مواطن ينفث النيران من فمه عند ما يتكلم وتجرى الأبالسة فزعا من نظرات عينيه المتقدة ويتحطم الصخر تحت لمسات يده القوية وتهتز الأرض تحت أقدامه الثقيلة . . .

وكف الرجل عن الحديث وران على الحجرة صمت رهيب ، وأحس أنور وصديقه كأنهما قد انتقلا الى عالم غريب وأن هناك قوة سحرية لا عهد لهما بها قد سرت فى دمائهما ، فاخذا يتطلعان الى الرجل الجبار المنتصب أمامهما تحوطه هالة من الجلال والرهبة بخشوع ووجد أنور نفسه يقول فجأة وبحماسة متدفقة .

ـ إن كلامك يا سيدى قد أنار الطريق أمامى وجعلنى أتبين السر فى عبوديتنا طول هذا الزمن ، لقد قاسينا طويلا من ذل الإحتلال وامتلأت أفواهنا بمرارته لأننا كنا نفتقر الى اشخاص مثلك يبشرون بيننا بدين الحرية والكفاح الخالص بمثل هذا الكلام الذى سمعته منك الآن وأكاد أشك بأن هناك مؤامرة كانت مدبرة لخلط الأمور علينا وبث الحيرة فى نفوسنا واشاعة القلق فى أرواحنا ، ولكنى اقسم لك الآن باسم الوطن المقدس إنى اذا رجعت من مهمتى سالما فسأكون ذلك الشخص الذى تتكلم عنه .

فابتسم الرجل فى لطف ثم قال وهو ينهض واقفاً .

ـ والآن يجب عليكما ان تنصرفا لأننى مثقل بالاعمال ، ويمكنك ان ترجع الى هنا بعد ان يهبط الظلام وسوف تجد نى قد أعددت لك كل شىء .

وشكره انور ثم انصرف مع صديقه على الأثر ورجع الاثنان الى منزل الأول وكان اول شىء فعله هذا الأخير هو إيقاظ شقيقه الأصغر من

النوم ثم أخذ يحزم له أشياءه وبعد ان انتهى من إدخاله فى ملابسه غادر الجميع المنزل ...

ووقف أنور يشيع العربة التى أقلت أخاه برفقة صديقه إلى القاهرة ، وتنفس الصعداء عندما اختفت عن أنظاره ثم دار على عقبيه ورجع إلى منزله مرة أخرى ...

وفى الساعة الثامنة كان يطرق باب المنزل المتواضع وبعد دقائق كان يقف أمام الرجل الذى قابله فى الصباح ، ووجد نفسه رغما عنه يخبره بالخطة التى استقر رأيه عليها لينفذ بها انتقامه والرجل يستمع وهو يعد له ما يلزمه من المفجرات ثم أخذ يشرح له كيفية استخدامها وبعد أن اطمأن تماماً إلى أن أنور سوف لايجد صعوبة فى القيام بهذا العمل عندما تحين لحظة انتقامه حزمها له فى كيس متسخ من القماش المتين . .

وناول الرجل أنور مسدسا صغيراً محشوا بالطلقات وأوصاه بأن يحتفظ به دائماً فى متناول يده احتياطا للمفاجئات ثم ذهب معه إلى الباب الخارجى ووقف يودعه وقد بدت فى عينيه نظرة مشجعة ، ولم يتمالك أنور نفسه ومد يده وتناول يد الرجل وهزها فى حرارة ثم استدار فى سرعة وسرعان ماابتلعه الظلام . . .

وسار أنور بحذاء شريط السكة الحديد فى الطريق المؤدى إلى القاهرة حتى وصل إلى خارج البلدة وانبسطت أمامه الرمال من على الجانبين فانحدر إلى يمينه فى طريق ضيق يفضى به إلى جوف المعسكرات الإنجليزية وإبتدأ يسير فيه ملتحفاً بالظلام ، ورغم أنه لم يكن هناك ما يخاف منه فى مثل هذه البقعة المهجورة إلا أن عينيه كانتا تدوران من حوله طول الوقت ويده على قبضة مسدسه .

كان قد رتب فى ذهنه كل شىء قبل أن يبتدأ رحلته وأبدل ملابسه

بجلباب قذر ولف فوق رأسه قطعة من القماش المهلهل وغير مظهره تماما حتى غدا الناظر اليه لايشك فى أنه أحد العمال الذين يشتغلون فى المعسكرات الإنجليزية المتناثرة فى كل مكان، وقد فعل أنور ذلك لأنه كان يعرف من قبل أن منظر هؤلاء العمال لايثير الشبهة فى نفوس الانجليز

وفضل رغم تنكره أن يسلك الطريق الصحراوى لخلوه من المارة والعيون المتطفله كما رأى أيضا زيادة فى الحرص أن يقطع الطريق الطويل الذى يفصل بينه وبين المكان الذاهب اليه فى الظلام .

وظل سائراً طول الليل وهو ينقل قدميه بخفة ونشاط ويتحرك كقطعة من الظلام ومن حوله كانت تبرز له أشباح مخازن القوات البريطانية المتناثرة بكثرة على جانبى الطريق وكان الهدوء يخيم من حوله ولايقطعه غير صوت الرمال وهى تتناثر تحت أقدامه . .

كان الطريق الصحراوى الذى يسير فيه واحد من الطرق العديدة التى شقها الانجليز بين الرمال لتسهيل المواصلات بين معسكراتهم ويبتدىء من خارج السويس متغلغلا فى الصحراء حتى يلتقى بطريق المعاهدة الذى يصل السويس بالاسماعيلية عند قرية جنيفا .

وعندما ابتدأت فى الأفق أولى تباشير الفجر كان أنور قد وصل إلى طريق المعاهدة وظهرت أمام عينيه على ضوء الفجر الشاحب مساكن قرية جنيفا القليلة فاتجه نحوها بخطوات متثاقلة ...

وأمضى طيلة اليوم نائما فى حجرة ضيقة فى أحد الأكواخ المتناثرة على الترعة التى تشق القرية الصغيرة عند أحد معارفه وعندما هبط الظلام كان قد استعاد قواه فودع صديقه وخرج وسرعان ما كان فى طريقه مرة أخرى . .

وابتدأ يسير فى هذه المرة بحذاء طريق المعاهدة المؤدى إلى

الإسماعيلية وهدير أمواج البحيرات المرة يصل إلى أذنيه فى صوت خافت ويسرع إلى الاختباء على جانب الطريق كلما لمح ضوء إحدى السيارات يلمع من بعيد . . .

ووصل الى قرية كبريت قبل منتصف الليل بقليل فحث خطاه حتى جاوز قرية فناره ثم ابتدأ يقطع المرحلة الأخيرة الباقية من رحلته والتعب ينمر كل جزء فى جسمه ، وهو يحس بأقدامه المنتفخة من كثرة المشى تئن من تحته ، وعندما وصل الى قرية أبو سلطان كانت أشعة الشمس الذهبية ترسل أولى خطوطها فى الأفق فانحدر من فوق الطريق الرئيسى وتوغل فى الطرقات الضيقه المفضية إلى القرية .

وتناول طعام أفطاره فى أحد المقاهى الحقيرة التى تنتشر بكثرة على شاطىء الترعة الضيقة التى تشق القرية الصغيرة إلى نصفين ، ثم أعرب لصاحب المقهى عن رغبته فى النوم وقد كان ذلك أمراً عاديا فى هذه الأماكن ، وأبرز للرجل قطعة من النقود فقاده هذا الى غرفة ضيقة من الطمى والصفيح ملحقة بالمقهى تكاد تكون خالية من الأثاث وأشار الى بعض الزكائب المفروشة على الأرض بجوار أحد الجدران ، ولم يتردد أنور بالألقاء بجسده المتعب على الفراش الخشن وسرعان ما كان يغط فى نوم عميق .

واستيقظ قبيل المغرب بقليل فنهض بنشاط وقد أحس أنه قد استعاد قوته بعد نومه الطويل وخرج الى المقهى فوجده عامرا بالعمال فوقف برهة يتأملهم وهم يقذفون طعامهم الرخيص إلى أجوافهم فى سرعة ونهم شديدين وأحس بالأسى يملأه وهو يتصفح وجوههم الشاحبة واجسادهم النحيلة القذرة التى اضناها العمل الشاق والتى لايكاد يغطيها شىء غير هلاهيل ممزقة لايستطيع المرء ان يميز لذا ما كانت حقيقة جلبابا او سروالا أو خليطا من كل ذلك .

ومضى الى ركن المقهى وتناول كوزا من الصفيح ملأه بالماء وذهب الى خارج الكوخ واغتسل ثم رجع وطلب بعض الطعام تناوله فى سرعة وبعد ان فرغ منه طلب قدحا من الشاى وركن ظهره الى الحائط وأشعل لفافة من التبغ وأخذ يدخن فى هدوء ...

وسبحت عيناه فى الفضاء خارج المقهى وهو يفكر بعمق ، لقد قطع الآن النصف الأول من مرحلته وبقى أمامه النصف الآخر وهو الخطير ، وكان فكره فى هذه اللحظة يدور حول الطريقة التى يتبعها حتى ينفذ إنتقامه ...

وظل بضع دقائق جالسا فى مكانه لا يتحرك ثم اشرق وجهه فجأة وقام من مجلسه وأخذ يتنقل بين العمال يجاذبهم أطراف الحديث وعندما رجع الى مكانه بعد ساعة كانت عيناه تلمعان ببريق غريب فقد عرف على وجه التحديد المكان الذى يقصده ...

وعندما قاربت الساعة الحادية عشر لف أنور قطعة القماش المبللة فوق رأسه وغطى بها نصف وجهه ، وبعد أن تأكد من أن مسدسه معد للإستعمال أردف بحرص اللفافة القذرة المحتوية على المفرقعات وراء ظهره ثم تسلل الى خارج المقهى بدون أن يشعر به أحد وتوغل فى جوف الصحراء ، وبعد ساعتين كان يجثم خلف كومة من الرمال وعلى بعد عدة أمتار منه إنتصب سياج طويل من الأسلاك الشائكة كان يلمع تحت اشعة المصابيح الكهربائية المتباعدة وامكنه وهو فى مكمنه أن يلمح الحراس وهى تتحرك فى كل مكان ، وكان الريح يحمل اليه من وقت لآخر أصوات هدير العربات المختلفة وهى تمر به فى دخولها وخروجها من المعسكر الذى يقع خلف الأسوار الشائكة ...

وتسارعت دقات قلبه وهو يرى نفسه على مرمى ذراع من

هدفه ومضى عليه وقت طويل قبل أن يستعيد هدوءه وابتدأ يفكر فى طريقة يتسلل بها الى داخل المعسكر بدون ان يراه أحد من الحراس .

كان المكان الذى جثم على قيد خطوات منه هو مجموعة المخازن الرئيسية للذخائر والمفرقعات للقوات الإنجليزية فى الشرق الأوسط وقد تأكد تماماً بأن هذا هو المكان الذى يقصده عندما شاهد الأسقف المنخفضة المتناثرة بكثرة على الرمال بداخله وعرف فيها الجزء العلوى للمخازن المحفورة فى الرمال ...

وأطلق من صدره فى صوت منخفض ضحكة خفيفة وهو يتخيل هذه المخازن انقاضا بعد الفراغ من مهمته، وظل راقداً فى مكانه وقتا طويلا يراقب المعسكر حتى هدأت الحركة تماما بداخله فاخرج مسدسه ووضعه على الرمال بجانبه ، وبعد أن خلع ملابســـه جميعها حتى أصبح عاريا كما ولدته أمه ، أخذ يزحف على الرمال فى بطء شديد ومسدسه فى يده ولفافة المفرقعات خلف ظهره ، وقطع المسافة التى تفصل بينه وبين الأسلاك فى مايزيد عن الثلاثين دقيقة ...

وادار رأسه بحذر وهو ملتصق بالرمال ، ووجد الهدوء شاملا من حوله فمد يده الى لفافة المفرقعات وتناول منها مقصاً كبير الحجم أخذ يقطع به الأسلاك الشائكة فى هدوء غريب وقد غدت أعصابه فى برودة الفولاذ ، وتنهد فى إرتياح عندما أفسح لنفسه طريقا بين الأسلاك ، وتردد برهة قبل أن يزحف إلى داخل المعسكر ، فقد كان يعلم أن الانجليز يبثون دائما الألغام تحت هذه الأسلاك ولكن تردده لم يطل لأنه لم يكن أمامه بد من هذه المجازفة فأخذ يزحف إلى الداخل من بطء شديد ...

كان يعرف أنه لو اصطدم باحد هذه الألغام المنتشرة تحت السور فسوف

يتمزق جسده إلى قطع صغيرة ولكنه كان يعزى نفسه بأن لو حدث وأنفجر أحد الألغام من تحته فإن انفجاره لابد وأن يؤثر على المفرقعات الحساسة التى يحملها خلف ظهره مما سيؤدى حتما إلى إشتعال النيران فى جزء من المخازن وبذلك يكون قد حقق جزءاً من انتقامه وهو خير من لاشىء ...

ولمعت عيناه فى سرور عندما وجد نفسه يقطع المسافة الطويلة التى تفصل بين داخل المعسكر وخارجه بدون أن يحدث له أى حادث ، وظل راقدا فى مكانه لايتحرك ، وبعد أن جال حوله بنظراته زحف فى سرعة شديدة الى أن وصل إلى أحد المبانى المنخفضة فارتمى بجواره وهو يلتقط أنفاسه اللاهثة . . .

كان من المؤكد أن أحداً لم يلمحه ، فالهدوء يحيط به من جميع الجهات ، فابتدأ يفحص المكان من حوله ووقع بصره على لافتات كثيرة مرتفعة على أعمدة خشبية أمام كل مخزن من المخازن العديدة التى تحيط به فزحف إلى إحداها وأمكنه ان يقرأ بصعوبة على ضوء المصابيح الشاحبة الذى يصل اليه من بعيد كلمتين مكتوبتين بحروف كبيرة باللغة الإنجليزية معناهما ممنوع التدخين ، فأخذ يتنقل بخفة على الأرض بين المخازن وهو يزحف على ركبتيه بدون أن يحدث اى صوت ، ووجدها جميعاً متشابهة تقريباً ، فهى ترتفع عن الرمال حوالى الذراعين ويفضى اليها فجوة محفورة فى الرمال امامها فى آخرها باب من الصاج لايستطيع أحد ان يرى الواقف أمامه إلا إذا كان على قيد خطوات من المخزن ، وابتسم فى الظلام عندما امكنه ان يقرأ بصعوبة بضعة كلمات مكتوبة احـــدى اللافتات معناها مفرقعات سريعة الانفجار وعرف أنه قد وصل على إلى بغيته ...

وزحف إلى داخـــل الفجوة المفضية إلى باب المخزن وأنزل اللفافة

المحتوية على المفرقعات من فوق ظهره وفتحها ثم أخذ يعمل فى سرعة وهدوء وهو مطمئن على أن أحداً لا يمكن ان يراه الا إذا كان واقفا فوق رأسه تماماً ...

وفرغ من عمله بعد عشر دقائق، وبعد أن اطمأن إلى أن المفرقعات التى بثها تحت باب المخزن سوف تنسفه عند إنفجارها وتفجر بسورها الأخرى المكدسة وراءه ، صعد إلى أعلى وفرد قطعة القماش التى كان يحمل فيها المفرقعات فوق الفجوة المفضية إلى باب المخزن وأسندها من كل من طرفيها بحجر كبير حتى يغطى الفجوة ولكى يطمئن الى أن أحدا سوف لا يرى من بعيد ضوء الفتيل وهو يحترق ، ثم نزل إلى الفجوة مرة أخرى وأشعل الفتيل وتسلل مبتعدا فى سرعة ، وأخذ يزحف عائدا صوب الأسلاك الشائكة ليغادر المكان ولكنه توقف عندما رأى ضوء إحدى السيارات وهى قادمة فى بطء من بعيد فتوارى خلف أحد المخازن القريبة . وإنبطح على وجهه وقلبه يدق فى عنف عندما شاهد فى مقدمة العربة مصباحا كشافا كان يدور فى شتى الإتجاهات وعرف أن هذه لابد أن تكون عربة الحراس فى إحدى دورات التفتيش الليلية .

وربض فى مكانه جامدا لا يتحرك وهو يرقب بقلب واجف العربة فى تقدمها البطىء ، وحدث ما كان يخشاه اذ سقط ضوء مصباح العربة الكشاف على الأسلاك المقطوعة وتوقفت العربة على الأثر ولمح عدة أشباح تقفز من داخلها وامكنه وهو فى مكانه أن يسمع بعض الأصوات تتحدث فى انفعال مختلطة بنباح أحد الكلاب ...

كانت حياته فى هذه اللحظة لا تهمه بقدر ما كان يهمه حدوث الإنفجار ، وعول على أن يبعد نظر الحراس عن مكان الفتيل المشتعل حتى لا يفطنوا اليه ويسارعوا الى اطفائه وبذلك تكون حياته

قد ذهبت هدرا بدون أن ينفذ انتقامه الرهيب ، ولم يشك لحظة واحدة فى المصـــير المروع الذى ينتظره على أيدى الانجليز اذا وقع فى أيديهم ...

ورفع مسدسه فى يده وقد لمعت عيناه ببريق مخيف ثم أطلق رصاصة تحطم على أثرها المصباح الكشاف الموضوع فى مقدمة عربة الحراس وانتقل من مكانه بسرعة، وقد أحسن صنعاً بذلك لأن وابلا من الرصاص إنهمر كالمطر على المكان الذى أطلق منه رصاصته ...

وفجأة توقف إطلاق الرصاص وسمع أنور صوتاً مليئا بالحنق والإنفعال يرتفع فى الظلام وينهال بالسباب على الشخص الذى أطلق الرصاص وسط المخازن المليئة بالمفرقعات ...

وارتفع فى هذه اللحظة نباح أحد الكلاب المتوحشة ولمح أنور شبح كلب ضخم يتقدم نحوه بسرعة كبيرة فصوب اليه مسدسه بيد ثابتة وأطلق الرصاص ولكن الكلب لم يتوقف فى عدوه واستمر مندفعا نحوه كالبرق الخاطف ، ولولا أنه ظل متمالكا أعصابه لآخر لحظة وهو يطلق الرصاص بدون توقف حتى تمكن من إصابة الكلب باحدى رصاصته ، لكان الكلب الهائج قد مزق جسده تمزيقا ...

وتراخى جسد الكلب الضخم وهو يهجم على انور فى شراسة وسقط فوقه فاقد الحياة وغمره بدمائه الساخنة ، فأزاح جسده الثقيل من فوقه ، وقبل أن تتاح له الفرصة لإلتقاط أنفاسه اللاهثة لمح عدة أشباح تعدو فى اتجاهه وقد شهرت فى أيديها المدافع السريعة الطلقات ...

وقفز من مكانه بسرعة واختفى وراء أحد المخازن عندما سقط عليه ضوء المصباحان الأماميان للعربة التى كانت قد استدارت فى تلك اللحظة وركزت ضوء مصباحيها على المكان الذى سقط فيه الكلب

ثم صوب مسدسه إلى ناحية العربة وأطلق رصاصتين ساد بعدهما الظلام المكان مرة أخرى ...

وتوقف الرجال المتقدمين نحوه عند ماساد الظلام فانتهز هو الفرصة وانطلق يعدو بسرعة متوغلا فى داخل مخازن الذخيرة، وألقى بنظرة وهو يعدو الى الوراء فلمح عدة أشباح تجرى خلفه فى صمت فابتسم ابتسامة وحشية وهزه الطرب وهو يرى نجاح خطته عندمارأى أنه قد ابتعد عن المكان الذى اشعل فيه الفتيل بمسافة كبيرة والحراس من خلفه ...

وارتمى خلف احد المخازن فى أعياء من كثرة العدو وأخذ يلتقط انفاسه المتلاحقة بصعوبة ثم اطل برأسه من وراء الحائط القصير فلمح مطارديه يقتربون من مكانه بسرعة كبيرة فصوب مسدسه الى أحدهم وضغط الزناد فانطلقت رصاصة سمع على أثرها صرخة ألم عالية فضغط الزناد مرة أخرى ولكن المسدس لم ينطلق فى هذه المره بعد أن فرغت رصاصاته .

وقذف بالمسدس بقوه فى وجوه مطارديه، وبعد ثوان وجد نفسه يحدق فى فوهة خمس مدافع مصوبة الى صدره فرفع يديه الى أعلا فى بطء، وقبل أن يتفوه احد منهم بكلمة واحدة اندلع من ورائهم ضوء ازرق أعمى عيونهم تبعه إنفجار يصم الآذان جعل الأرض تهتز فى قوة تحت اقدامهم...

وشعر انور بنفسه يطير فى الهواء ويسقط فى عنف على الارض وهو يحس برأسة يدور فى سرعه غريبة، وحاول الوقوف على قدميه ولكنه لم يستطع أن يحرك أى عضو فى جسده ..

وتلفت حوله ووجد نفسه يرقد وحيدا فوق الرمال وتراقصت أمام

عينيه الذاهلة صور أشباح تجرى فى كل مكان وقد إستولى عليها الرعب والفزع ووصل الى سمعه أصوات عديدة مختلطة ببعضها خيل اليه أنها تأتى اليه من مكان سحيق، ولمح على ضوء النيران المشتعلة اجسام اشياء ضخمة تتطاير فى الهواء ثم تختفى فى ظلام الليل ...

وأطلق من صدره ضحكة مخيفة تحشرجت فى حلقه ولم يخرج من بين شفتيه غير آنة ضعيفة ولكنه احس رغم ضعفه وهو يراقب إمتداد النيران المشتعلة من حوله ، بلهب الحقد والكراهية ينطفىء فى دمائه بالتدريج ...

وإهتزت الأرض من تحته مرة اخرى وأحس بنفسه يسبح فى الهواء ولم يشعر بألم عندما رقد جسده ثانيا على الأرض ...

وخيل إليه أنه يلمح أشباحا هائلة الطول تلبس ظراطير حمراء يتوسط وجوهها أسنان بشعة المنظر ترقص بجنون فى جوف النيران المشتعلة فى أرجاء المعسكر وقد أسبغ لهب النيران على ملابسها الحمراء بلون الدم ظلالا مخيفة وهم يشيرون اليه ويقولون جميعا فى صوت واحد منغوم على هزات أجسادهم ...

ـ ما أبدع هذا الانتقام ياأنور ...؟ إنظر الى عشرات الأجساد وهى تتطاير اشلاء متناثرة فى الهواء ... أنظر الى ملايين الجنيهات وهى تحترق فى جوف هذا الجحيم الذى أشعلته ... فليطمئن بالك الآن ياانور لقد انتقمت لوالدتك وللمصريين أجمع .. ولن يجد الأعداء بعد اليوم ذخيرة يقتلون بها مواطنيك ...

وتخدر جسده وأحس كأنه يسبح فى حلم لذيذ يرى نفسه فيه يبيع حياته إلى فتاة نبيلة القسمات يشع منها النبل والطهارة حلت رأسها بتاج أنيق كانت لآلئه الثمينة تشع فى عينيه ببريق يخطف الأبصار ، وقد وقف أمامها حشد كبير من أعداء بلاده ، يطل اليأس والمرارة من أعينهم

أعناقه وهم يدفعون للفتاة ثمن حياته ، وأدهشته تلك الأكوام الهائلة من النقود والجثث التى اتحنت الفتاة تفحصها بعين الخبير وعلى شفتيها إبتسامة راضية . . .

وقارن انور فى ذهنه بين حياته الرخيصة وبين هذا الثمن الكبير الذى دفعه أعداء بلاده فى مقابلها وهالته نتيجة المقارنة وتساءل فى ذهول . . أيمكن ان تكون حياته ثمينة الى هذا الحد ؟ وعرف فى هذه اللحظة فقط مقدار ما يمكن للفرد الواحد أن يحققه لبلاده من المعجزات ووجد نفسه بدون وعى يحصى فى ذهنه عدد المخازن الحيوية الهامة التى تمد اخطبوط الإستعمار الذى يجثم على صدر بلاده منذ عشرات السنين بالحياة ، واعتراه الذهول عندما وجدها لفرط دهشته يمكن أن تعد على أصابع اليد الواحدة . . .

وأحس بدبيب الموت يسرى إلى عقـــله والظلام يزحف إلى خلايا رأسه ويطرد منها كل ما يملؤها من الخواطر والأفكار فتراخت أعضاؤه وأسلم نفسه إلى الموت الزاحف اليه . . .

وفجأة تدفق إلى خلايا ذهنه ضوء باهر بدد ظلام الموت الذى كان يلف عقله فى هذه اللحظة وأحس بقوة سحرية تسرى إلى جسده وحاول أن يزحف على يديه عندما دوى فى أذنيه صوت رهيب يصرخ فيه ـ كلا ... كلا .. لا يجب أن تموت الآن يا أنور . . إن عليك واجباً مقدساً يجب أن تؤديه قبل أن تغمض عيناك إلى الأبد . . يجب عليك أن تعلن للملأ ذلك السر الذى عرفته الآن . . يجب أن تقول لكل مواطن أن ثمن الحرية لا يتعدى أكثر من التضحية ببضعة بأفراد قلائل ... تشجع يا أنور . . انهض على قدميك يا رجل وأصرخ بأعلى صوتك معلنا هذا الاكتشاف الخطير ...

ولم يتحرك عضو واحد فى جسده ، وعجز حتى عن فتح عينيه وأعياه الجهد الذى بذله فتراخت أعضاؤه مرة أخرى وهمس لنفسه بإعياء

ـــ ما أغبانى ؟ أفقدت الإيمان بمواطنى إلى هذا الحد ؟ لابد وأنهم الآن يعرفون قيمة الحرية وسيسارعون إلى إبقياعها بهذا الثمن الرخيص ...

وأخذت الأرض تدور به فى سرعة كبيرة وسرى إلى جسده استسلام لذيذ ولم يعد يشعر بأى شىء ، ورأى كما يرى الحالم ، النيران المتأججة من حوله تنشق فجأة عن شبح ملتحف فى ملابس ناصعة البياض ، ولم يدر إذا ما كان هذا الشبح يهبط اليه أم هو صاعد نحوه ، ولم يشعر بأكثر من أنهما يقتربان من بعضهما بسرعة كبيرة ...

وأحس بذهنه يصفو وبجسده يصبح فى خفة الهواء وهو يزداد إقترابا من الشبح الأبيض ... وفجأة قفز إلى عينه بريق من المعرفة وصرخ فى فرح ...

ـ أماه ...

وإحتضنته والدته بين ذراعيها فى حنان غريب وهى تضحك فى صوت خافت ضحكات تفيض بالسعادة الممزوجة بالتشفى ...

وسرت اليه عدوى الضحك ووجد نفسه يضحك مع والدته فى صوت هادىء أخذ يعلو ويشتد كلما إزدادا إرتفاعا فى الهواء ... حتى أصبحت ضحكاتهما تدوى فى السماء كالرعد وتبتلع فى طياتها أصوات الإنفجارات المتتالية التى تهز الأرض من تحتهما ...

سر الليل

لم يكن مبروك أفندى بالشخص الأحمق الذى يحمل معه فى مغامراته مسدساً محشواً بالطلقات أو سلاحاً حاداً، فهو يكره من أعماق قلبه الإلتجاء إلى العنف ، وإختار لنفسه سلاحاً فريداً من نوعه لم يخطر على بال أحد من المغامرين إستعماله من قبله ...

obeikandl.com

توقف مبروك افندى عن الكتابة ورفع رأسه وسرحت نظراته فى سقف الحجرة وأخذ يمص طرف قلمه مفكراً ثم أبرقت عيناه وانحنى بسرعه على الدفتر الضخم المفتوح أمامه على المنضدة وكتب

— . . . . . وقد قررت أن أطلق على نفسى إسم نسر الليل .

ورفع رأسه مرة أخرى وهو يتنهد بإرتياح كأنما وفق إلى حل مشكلة عويصة وألقى بالقلم من يده على المنضدة وبعد أن تمطى بكسل وفرقع أصابعه أقفل الدفتر الكبير وتناول قطعة باهتة اللون من القماش تعلوها القذارة كانت ملقاة على ظهر أحد المقاعد بجواره لف فيها الدفتر بعناية كبيرة ثم نهض بعـــد ذلك واقفاً وحمل بحرص الدفتر الثقيل على ذراعيه ومضى إلى سرير حديدى كبير يبتلع ثلاثة أرباع الحجرة الضيقة وانحنى على ركبتيه وجذب من تحته حقيبة خشبية عتيقة تحطمت جدرانها وبهت طلاؤها أخذ يعالجها مدة طويلة حتى تمكن من فتحها ثم وضع بداخلها اللفافة المحتوية على الدفتر وبعد أن أعاد قفل الحقيبة وأرجعها ثانياً إلى مكانها نهض واقفاً وهو ينفض الغبار عن ركبتيه وقد بدت على وجهه دلائل الابتهاج ثم تناول بعد ذلك مقعداً خشبياً حمله إلى خارج الحجرة ووضعه أمام بابها وإرتمى عليه ورفع عينيه إلى السماء وأخذ يحدق فى النجوم اللامعة التى كانت تبدد بضوئها الشاحب بعض الظلام الحالك الذى يلف فراغ السطح الواسع المنبسط أمامه وقد غرق فى تفكير عميق . . .

كان مبروك افندى قد فكر جيداً فى الأمر الخطير الذى هو مقبل

عليه ودرس بدقة متناهية جميع التفاصيل الخاصة به وعمل حساباً لجميع الإحتمالات ، وكان وهو جالس فى هذه اللحظة يراجع كل شىء فى ذهنه حتى يطمئن إلى عدم وجود ثغرة فى خطته لم يلتفت إليها من قبل ...

لقد أصدر مبروك افندى قراره الأخير وعزم على أن تكون الليلة هى الحد الفاصل بين حياته الخاملة وحياته الأخرى التى سوف تبتدى هذا المساء أو على الأصح بعد منتصف الليل مباشرة ...

كان قد ضاق ذرعا بحياته الفارغة وكره أن يعيش على هامش الحياة أكثر من ذلك ، وأصبح يمقت هذه النظرات الساخرة التى تبدو فى عين كل من يراه وأحس أنه لا يستطيع احتمال المزيد من هذه النكات اللاذعة التى تعود يلاحقه بها الجميع كلما أهل عليهم بقامته القصيرة ورأسه الضخم ...

وعبس وهو يتذكر بعض هذه النكات وعض على شفتيه فى غيظ ، وظل جالساً فى مكانه مدة طويلة وهو يدق الأرض بقدمه فى ضيق ثم إبتدأت الراحة تنساب الى نفسه المعذبة عندما تذكر ماعقد عليه العزم فى هذا المساء ...

لقد هزأ الناس طويلا من منظر رأسه الضخم وأنفه المفرطح ، ولكنه الليلة سوف ينتقم لكل ما أصابه على أيديهم من الهزء والسخريه وسوف يعرف كل فرد أى عقل جبار يرقد فى داخل هذا الرأس الكبير ...

وإبتسم عندما وصل إلى هذا الحد من أفكاره وفرك يديه بسرور وهو يستعرض فى ذهنه سلسلة المغامرات الجريئة التى اعتزم القيام بها واحدة بعد الأخرى ...

كان أشد ما يضايقه هو عدم التفات الناس اليه إلا بالقدر الذى يوحيه منظره اليهم من النكات ، أما غير ذلك فقد كان كل فرد يعامله

كما لو كان قطعة مهملة من الأثاث القديم ، وقد حاول عبثا أن يجتذب الأنظار اليه ويجبر الناس على احترامه ولكنه فشل ، وكان يذوب لهفة وشوقا لكى يلمح نظرات الاعجاب والاحترام تطل من عين كل من يراه وأن يخطب الناس وده ، ولكنه اضطر فى آخر الأمر بعد محاولات عديدة فاشلة للتسليم بالحقيقة المرة وهى أن الناس لا يحترمون إلا الأقوياء وذوى النفوذ والثراء ...

وتنهد بحسرة من أعماق قلبه المحروم . . . وتلفت حوله فى حنق ... لكم كرة هذا الظلام الذى يحيط به من كل جانب . . . وهذا الهدوء المقيت الذى يزحف إلى سطح العمارة بعد هبوط المساء ويكاد أن يحطم أعصابه ويدفعه الى الجنون ...

مرة واحدة ابتسمت الحياة فى وجه مبروك افندى عندما ضحكت له خادمة الخواجة كارايسكو الذى يقطن فى الطابق الرابع من العمارة وأمضى ثلاثة أيام يعيش فى جنة من الأحلام السعيدة ...

وتنهد مرة أخرى بحرقة وأسف عندما هاجمته هذه الذكريات المريرة وقال لنفسه . . . حتى هذه الخادمة الحقيرة لم تقبل الزواج منه وهو الأفندى المتعلم وفضلت عليه عبد السميع صبى البقال المجاور للعمارة ...

ولما كان يميل الى جانب الحق دائما ، فانه لم يشعر بأى حقد على الخادمة ولم يلق باللوم عليها والتمس لها الأعذار لأنه يعرف انها جاهلة لم تدرس بعد أسرار الاقتصاد دراسة وافية ، ولا ريب انها أحست بالصداع يحطم رأسها والغثيان يصيبها وهى تحاول أن توفق فى ذهنها بين مطالب الحياة وراتبه . . فلا عجب اذا كانت قد اطلقت ساقيها للريح وألقت بنفسها بين أحضان صبى البقال الذى لا يعرف كيف يكتب اسمه .

ولمعت عيناه اعجابا بمهارة الخادمة وذكائها وعجب كيف لم يخطر على باله من قبل أنها استعملته كسلاح يثير غيره عبد السميع صبي البقال كما استعملت هذا الأخير لنفس الغرض حتى دفعت كلاهما لعرض الزواج عليها في وقت واحد، ثم قارنت بين الإثنين وفضلت الزواج من عبد السميع لأنها كانت تريد من الزواج الراحة من الخدمة في بيوت الأسياد بينما كان مبروك افندى ينظر الى الزواج من زاوية أخرى ...

ورفع رأسه وأخذ يتأمل السماء الصافية المنبسطة فوقه ويملأ رئتيه من هواء الليل المنعش ثم هز رأسه مؤكداً لنفسه ما يجول فيها من أفكار وقال :

— لقد انتهى كل شيء الآن ولن أكون بعد هذه الليلة في حاجة الى إستجداء العطف من خادمة حقيرة وأن أمنى نفسى بمقاسمتها أجرها القليل ليخفف عن بعض مطالب الحياة .

وبصق على الأرض في اشمئزاز عندما وصل الى هذا الحد من أفكاره . وتابع حديثه لنفسه .

— سوف اجعل نسر الليل يحقق لمبروك افندى جميع الأمانى والأحلام الجميلة التى تملأ مشاعره .. وسوف أجد في نظرات الرهبة والاعجاب التى ستلمع من غير شك في العيون عندما يتحدث أصحابها عن مغامرات هذه الشخصية الغامضة ويتناقلون أنباء حوادثه الجريئة وهم مبهورى الأنفاس، سوف أجد في كل هذا من اللذة ما يمكنه أن يثير مشاعرى ويذهب عن روحى التى كادت أن تصدأ من طول الكسل والوحدة خمول هذه الحياة الراكدة ...

ولمعت عيناه ببريق مخيف وهو يضحك في وحشية ويمنع نفسه بشق الأنفس من الرقص طربا عند ما اخذ يتخيل نفسه وهو يدور بعينيه في تشفى في وجوه أهل الحى ويستمع إليهم وهم يتحدثون عن مغامرات نسر الليل وشعر بلذة الانتقام تسرى في دمائه حارة ملتهبة تكتسح في طريقها كل

مارسب فيها من الذل والمهانة التى تعرض لها فى الماضى ...

ومصمص بشفتيه وهو يكتسح سطح العمارة الواسع بنظرة نفاذه اعجابا بذكائه الجبار ، وظهرت له فيه فى هذه اللحظة مقدار المزايا التى تحيط به فى هذا المكان والتى لم يفطن اليها من قبل ، فهو هنا يستطيع أن يدخل ويخرج بهدوء وفى أى وقت بدون أن يلفت اليه الأنظار اليه ، وكان لهذا الظلام والهدوء الشامل الذين يحيطان به الفضل الاول فى اخراج شخصية نسر الليل إلى حيز الوجود ، بعد أن ظلت الفكرة تداعب خياله زمنا طويلا ...

وكان مبروك أفندى قد مهد من قبل ذلك لهذا الانقلاب الخطير الذى يود احداثه فى حياته الهادئة بشراء مجموعة ضخمة من الروايات البوليسية وعكف ليالى طويلة على قراءتها وعاش بروحه مع أبطالها ، وكان كلما توغل فى القراءة تزداد فكرته رسوخاً فى ذهنه وتبدو له فى منتهى البساطة حتى انتهى أخيراً إلى قراره الخطير وحدد منتصف هذه الليلة موعدا للقيام بأولى مغامراته .

ولما كان مبروك أفندى يؤمن فى قرارة نفسه إيمانا عميقا بأنه سوف يكون من الشخصيات التاريخية البارزة فى يوم من الأيام ، وأنه سوف يأتى عليه يوم يحرك فيه دفة المجتمع بأنامله ويجعلها تدور تحت تأثير اشعاع ذهنه الجبار فإنه كان يحرص على تدوين كل شىء يتعلق بحياته فى مذكراته الخاصة لأنه كان يريد أن يوفر على المؤرخين مشقة التنقيب فى بطون التاريخ بحثا عن دقائق حياته ، وكان حينما يجلس ليسطر مذكراته يشعر بأهمية المسئولية الملقاة على عاتقه ، ولذلك فانه كان دائماً يتوخى الدقة والصراحة التامة فى كل ما يخطه ، حتى أنه كان من السهل جداً أن يعرف المرء كم قرصا من الطعمية تناولها فى غذائه فى يوم يرجع تاريخه إلى ثلاثة أعوام مضت وذلك بالرجوع إلى هذه المذكرات ...

وظل جالسا فى مكانه مدة طويلة حتى شعر بأن الوقت قد حان للبدء فى مغامرته فنهض واقفاً بنشاط ودخل حجرته وهو يمشى على أطراف أصابعه — وقد كانت هذه عادة لازمته منذ أن عزم على تقمص شخصية نسر الليل — حتى يتعود على الحذر والخفة فى نقل خطواته والتلصص بدون أن يشعر به أحد ...

وجذب من تحت الفراش لفافة كبيرة تركها فوق المنضدة وذهب إلى باب الحجرة وأطل برأسه إلى الخـــارج ودار بنظراته فى الظلام المتكاثف الذى يغرق فيه سطح العمارة ولما لم يلمح شيئا يثير الشبهة أغلق الباب فى هدوء وبدون أن يحدث أى صوت ، ثم فتحه بعد ذلك بسرعة مرة أخرى واكتسح المكان بنظرة حديدية زيادة فى الحرص ...

ورجع بعد أن أقفل الباب وراءه إلى المنضدة وفرد اللفافة التى أحضرها من تحت الفراش وأخرج منها جلبابا قديما ، كان قد أحضره خصيصا لهذه المناسبة وابتدأ فى تغيير ملابسه ، وبعد أن لبس الجلباب تناول معطفا عتيقا مهلهل الجوانب لبسه فوقه ، ورغم أن الجو كان صيفاً إلا أنه كان يريد أن يكون تنكره كاملا ...

ووقف أمام مرآة صغيرة مثبتة على أحد الجدران وتناول عمامة قديمة ذات لون باهت على جدرانها أثر خفيف من لونها الأحمر القديم ثبتها فى صعوبة فوق رأسه الضخم ثم لف فوقها ملفحة صوفية غطى بنصفها ثلاثة ثلاثة ارباع وجهه ، وبعد ان فرغ من تنكره وقف يتأمل الصورة التى طالعته فى المرآة وهو يمنع نفسه بقوة من الإستلقاء على قفاه من الضحك

وبعد أن أطمأن تماماً أن أحداً لا يمكن يعرفه وهو فى هذه الهيئة الغريبة ، أطفأ المصباح ثم تسلل بخفة الأشباح إلى الخارج ، وبعد دقائق

كان يسير فى ظلال المنازل فى الشوارع الهادئة الخالية من المارة فى فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، واستمر فى سيره مدة طويلة ثم وقف فى آخر الأمر أمام أحد المنازل وتوارى فى بقعة مظلمة وأرسل بصره يتأمل المنزل الرابض فى الظلام ...

كان المنزل الذى وقف مبروك افندى أمامه يفحصه بنظراته مكوناً من طابقين ويحيط به سياج حجرى منخفض يفصل بين فنائه الواسع وأرض الطريق وقد بدأ له فى هذه اللحظة كالمهجور ولم يلمح مبروك افندى أى أثر للحياة يطل من نوافذه ...

كان اختياره قد وقع على هذا المنزل بالذات ليكون مسرحاً لأولى مغامراته ، وقد سبق له أن عاينه قبل ذلك مراراً فى ضوء النهار ودرس جميع الشوارع والمنافذ المؤدية اليه وظل يحوم حوله باستمرار ، وعندما لمح فى عصر هذا اليوم الشىء الذى ظل يترقب ظهوره فى فنائه أياما طويلة عزم على السطو عليه فى هذه الليلة ...

وتقدم من المنزل فى خطوات خفيفة ودار حوله ووقف أمام باب خلفى صغير قائم فى الحائط الحجرى وأخذ يعالجه مدة طويلة بأداة أخرجها من جيبه محاولا فتحه حتى تصبب جبينه عرقا ولكن الباب لم يلن تحت صابعه ...

كان يعرف أنه يستطيع أن يقفز إلى فناء المنزل بسهولة من فوق السياج المنخفض ، ولكنه كان قد رتب الأمر فى ذهنه من قبل على تحطيم قفل الباب حتى يترك وراءه أثراً لزيارته وحتى تتسم مغامرته بطابع الجرأة والاستهتار ، ولكنه وجد نفسه فى آخر الأمر مضطراً الى التخلى عن الجزء الخاص بتحطيم قفل الباب من خطته ...

وأجال نظرة سريعة من حوله قبل أن يتراجع إلى الوراء قليلا ويقفز

قفزة هائلة ويمسك بحافة السياج ، ولم يكد يفعل ذلك حتى أحس كأن ألسنة من اللهب قد إندلعت فى يديه فكاد أن يصرخ من الألم المفاجىء ولكنه ضغط على شفتيه فى قوة ثم رفع نفسه قليلا ، وبحركة رياضية بارعة طوح بقدميه إلى الجانب الآخر من السياج والقى بنفسه فى فناء المنزل ، ولكنه لم يسقط على أرض الفناء مباشرة لأن ذيل معطفه الفضفاض كان قد اشتبك بقطع الزجاج البارزة فوق جدار السياج ، ووجد مبروك أفندى نفسه معلقاً من قدميه ورأسه إلى أسفل ...

وكاد قلبه يقفز من الرعب عندما سمع وهو معلق فى الهواء بهذا الشكل وقع خطوات ثقيلة تقترب من المنزل فى بطء ولكنه تمالك أعصابه بسرعة وهز جسـده فى عنف ، وسمع على الأثر صوت شىء يتمزق مختلطا بالضجة التى أحدثها صوت ارتطام جسد مبروك أفندى بالأرض ...

وظل راقدا فى مكانه مدة طويلة وهو لا يجرؤ على التنفس وأخذ ينصت بقلب خافق إلى وقع الأقدام الثقيلة وهى تقترب منه ثم إبتدأ هدوءه يعود اليه عندما وجد الشرطى يستمر فى طريقه بدون أن يتوقف وعاد الهدوء يسيطر على المكان وابتدأت شجاعته تعود اليه بالتدريج ...

وتطلع الى يديه الداميتين وأخذ يلعن أصحاب المنزل لغرسهم هذه القطع الزجاجيه الحادة فوق حافة السياج ثم أخرج من جيبه خرقة قذرة أخذ يزيل بها الدماء العالقة بهما وحين فرغ من ذلك أحس بنفس الألم ينبعث من قدميه فتحسسها ووجد أن حالها ليس بأحسن حال من يديه ...

ونهض من مكانه وهو يجد مشقة كبيرة فى الوقوف على قدميه ، بعد أن بذل كل ما يستطيع من جهد لإيقاف الدماء النازفة من جروح يديه وقدميه ويغالب الألم الذى كان ينبعث من كل جزء فى جسده من جراء سقطته ...

ولمعت عيناه فى الظلام ونسى الآمه عندما وقعت أبصاره على الشئ الذى كان قد قدم من أجله فتقدم فى حذر شديد وكله حواس مرهفة ثم مد يده بلهفة وأطبق على غنيمته بجشع وهو يعجب كيف يترك اصحاب المنزل البلهاء مثل هذه الاشياء الثمينة فى فناءه ، ثم أخذ يوزع غنيمته على جيوب معطفه الواسعة ، وبعد أن فعل هذا أخرج من جيبه الداخلى قطعة كبيرة من الطباشير وتقدم بخطوات واسعة صوب احد الجدران وخط فوقه بحروف كبيرة لاتمت بصلة الى خطه الاصلى كلمة « نسر الليل »...

ووقف لحظة يتأمل الحروف البيضاء ثم تنهد فى سرور واتجه ناحية الباب الخلفى وتحسس مزلاجه واخذ يشده إلى الخارج بخفه حتى لان فى يده وانزلق بدون أن يحدث أى صوت ...

وحرك الباب بمقدار بوصة واحدة وأرسل نظراته الى الخارج فلم يلمح مايثير الشبهات . فحرك الباب قليلا واخرج رأسه وكاد يتبعها بجسده لولا أن برز فى هذه اللحظة شبح أحد رجال الشرطه فى منعطف من الطريق فارتد ثانية الى الداخل واقفل الباب وراءه ووقف خلفه وهو يلهث فى شدة ...

وابتدأت لذة المغامرة تسرى الى مشاعره وأحس بدمائه تجرى فى عروقه ساخنة ملتهبة وخيل اليه فى هذه اللحظة انه يعيش فى احدى اللحظات الخالدة من عمره وهمس لنفسه فى الظلام ...

والآن ماذا ستفعل يانسر الليل . . ؟ ها أنت محاصر فى داخل المنزل وأمامك رجال الشرطة يحاصرونك من جميع الجهات وفى جيوبك أدلة إجرامك ، وقد سدت أمامك كل منافذ الهرب ..!!

وظل فى مكانه مدة طويله ينصت من خلف الباب حتى اذا ما إطمأن إلى أن الهدوء عاد يخيم على الشارع مرة أخرى فتح الباب وتسلل

عضلات وجهه عندما لمح الشرطى العنيد واقفا لا يتحرك فى ظل احد أبواب المنازل القريبه وقد أمسك ببندقيته فى يده ...

وأيقن مبروك افندى أن الشرطى قد اكتشف أمره . . . وأختبأ فى الظلام انتظارا لخروجه ، ولكن هذا لم يزعجه على الاطلاق فقد كان يتوقع شيئا من هذا القبيل قبل أن يقدم على مغامرته واتخذ من الحيطة ما يكفل له الخروج سالما من شتى المآزق ...

وابتسم لنفسه فى سخريه وشعر بالحماس يتدفق الى دمائه وكشر عن انيابه وهمس لنفسه . . . حسنا ايها الشرطى سوف تعرف عما قليل من هو نسر الليل ...

وهز كتفيه فى أسف وهو يمد يده الى جيبه - كان يود من كل قلبه أن يتجنب استعمال الاسلحة فى مغامراته ولكنه كان قد رتب كل شىء فى ذهنه من قبل وأعد عدته لمجابهة أمثال هذه المفاجئات ، ولذلك لم يزعجه كثيرا وقوف الشرطى فى انتظاره ، بل بالعكس شعر نحوه بالشكر لأنه سوف يتيح الفرصة له لإرواء نفسه العطشى للمغامرة ...

وأخرج من جيبه نبلة صغيرة مما يستعمله الأطفال وقد لمعت أسنانه فى الظلام وهو يبتسم إعجابا بدهائه وحسن تدبيره ويكاد أن يصفق إستحسانا لأفكاره الجهنمية ...

لم يكن مبروك افندى بالشخص الأحمق الذى يحمل معه فى مغامراته مسدسا محشوا بالطلقات أو سلاحا حاداً فهو يكره من أعماق قلبه الإلتجاء إلى العنف ، واختار لنفسه سلاحا فريداً من نوعه لم يخطر على بال أحد من المغامرين استعماله من قبله ، وكان واثقا أن تأثير مثل هذه النبلة الخفيفة فى اليد المدربة يكون أشد فتكا من تأثير القنابل المحرقة .

وتناول من جيبه حجرا صغيرا - فهو لم ينس أن يزود نفسه بكمية وافرة من الذخيرة قبل أن يخرج من حجرته - ووضع الحجر فى النبلة ثم شدها بقوة وأحكم التصويب وترك الحجر يسبح فى الهواء ...

وقفز الجندى بفزع من مكانه على صوت الحجر وهو يرتطم فى الباب الخشبى وراءه بعنف وأخذ ينظر حوله مذعورا ويفرك عيناه ليزيل عنهما أثر النوم الذى كان غارقا فيه ، ولم يمهله مبروك افندى وحشا نبلته مرة أخرى وصوبها إلى الناحية المضادة وأطلقها .

ودوى فى الظـــلام صوت ارتطام الحجر بأحد الأبواب الخشبية البعيدة ، ولم يتردد الجندى وإنطلق يعدو إلى المكان الذى صدر منه الصوت وتابعه مبروك أفندى بنظراته وهو يبتسم فى سخرية ثم حشا نبلته للمرة الثالثة وأمسك بها فى يده على تمام الاستعداد لإطلاقها عند النزوم وتسلل خارجا من المنزل وأغلق الباب وراءه ...

وقبل أن يختفى فى منتصف الشارع ألقى ببصره إلى الوراء وشاهد جندى البوليس وهو واقف على مقربة منه يتطلع حوله فى حيرة وقد شهر سلاحه فى يده فابتسم ابتسامة خبيثة وصوب إليه سلاحه القاتل وترك الحجر يسبح فى الهواء ثم أطلق ساقيه للريح وتأوهات الجندى وهو يمسك بقدمه تتابعه ...

وتسلل فى هدوء إلى حجرته وأقفل الباب وراءه ثم أسرع يخلع ملابسه وإزالة تنكره وبعد أن وضع غنيمته الثمينة بحرص على الفراش ارتدى جلبابه المنزلى وذهب وغسل قدميه ويديه وأزال كل أثر للدماء عليها ثم عاد وهو يصفر فى مرح واتجه إلى ناحية السرير الحديدى وجذب من تحته الحقيبة الخشبية وأخرج دفتر مذكراته وبعد أن فرغ من تدوين أولى مغامراته

أرجعه مرة ثانية إلى مكانه فى الحقيبة وأعادها إلى مكانها ...

وتمطى مبروك أفندى بكسل ثم ألقى بجسده المتعب على فراشه ومد يده وأخذ يتحسس غنيمة الليلة بشغف كبير وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة وهو يتخيل فى ذهنه مقدار الحيرة والدهشة التى سوف تستولى على إبنة المعلم زين العابدين عندما تكتشف ضياع بعض ملابسها من فوق حبل الغسيل فى الصباح ...

قريباً جداً

قصـــة الحياة المصرية فى أبشع صورها

الكلاب ؟

كلا يابنى .. سوف لاأقتلك . . فلسنا نحن بالجزارين الذين يقتلون لمجرد حب القتل مثل أبناء جلدتك ، وإنما نحن قوم ندافع عن مبدأ مقدس ونقاتل لإسترداد كرامتنا وحريتنا المسلوبة ، ولن نلجأ للقتل إلا اذا اضطرتنا الظروف الى ذلك ، وان نتردد حين يحين الوقت عن تمزيق أجسادكم وسلخ رؤوسكم كما كان يفعل الهنود الحمر . . .

لمع ضوء مصباح المعسكر الكشاف وغمر الرمال بأشعته الباهرة ، فانبطح الرجال الثلاثة بسرعة على الرمال الناعمة ، وانتظروا حتى جاوزهم ضوء المصباح الدائر وساد الظلام المكان مرة أخرى ...

وزحف أحد الرجال الثلاثة على الرمال مقتربا من سياج الأسلاك الشائكة وأخذ يعمل فى هدوء وبيدين مدربتين على إفساح فجوة بينها تسمح بمرورهم ثم تنهد فى ارتياح وهمس لزملائه ليتبعوه ، وبعد برهة كان الرجال الثلاثة فى داخل المعسكر ...

وتقدم الرجال الثلاثة فى خفة وبدون أن يسمع لأقدامهم العارية أى صوت صوب كومة مرتفعة من الصناديق على بعد قليل من سياج الأسلاك الشائكة وصعدوا فوقها وأخذوا يديرون أنظارهم فى شتى الاتجاهات ...

كان المعسكر يسبح فى ظلام دامس ولم يظهر أمام أعينهم غير أشباح رصات الصناديق المرتفعة ومبانى المخازن والورش المنحدرة الأسقف المتناثرة فى كل مكان وبعض الأضواء الباهتة التى كانت تلمع من بعيد ، ولكنهم لم ينخدعوا بهذا الهدوء الظاهر ، وكانوا يعرفون أن أجسادهم عرضة لأن تكون هدفا لمئات الرصاصات التى قد تنطلق عليهم من مكان غير منظور من حولهم فى أى لحظة ...

لم تكن هذه هى أول مرة يدخلون فيها إلى معسكر التل الكبير ولكن الأحوال الآن كانت تختلف تماما عما كانت عليه فى الماضى ، وقد فقد

الإنجليز صوابهم وإنتابهم الذعر منذ الغاء معاهدة سنة ٣٦ وأقاموا فى كل جزء من أجزاء المعسكر الواسع نقط حراسة إضافية ، وأصبحت أصابعهم المرتجفة تسارع الى ضغط زناد مدافعهم الرشاشة فى قوة من يتشبث بشىء يبعث الإطمئنان إلى قلبه المرتجف ويطرد الذعر عن مشاعره الحائرة ، وذلك عند أقل حركة ولمجرد الإشتباه . .

وأخذت رياح شهر يناير الباردة تصفر فى آذان الرجال الثلاثة وهم منبطحون على وجوههم فوق قمة الصناديق الضخمة ، فأحكموا لف ملفحاتهم الصوفية فوق وجوههم ، وتقدم أحدهم وهبط من فوق الصناديق وقفز إلى الأرض وأشار إلى زملائه فتبعوه فى صمت .

ووقفوا برهة ، وأخرج كل منهم من بين طيات ملابسه مدفعاً رشاشا صغير الحجم كسيب المظهر أخذ يركب أجزاءه ويعده للانطلاق ، ثم شرعوا أسلحتهم فى أيديهم وأخذوا يتقدمون إلى جوف المعسكر فى حذر واحتراس وهم ينقلون خطواتهم فى الظلام كالأشباح ويسيرون فى ظلال رصات الصناديق المرصوصة المرتفعة وجدران أبنية المخازن والورش .

كانوا يعرفون مقدار الأخطار التى تنتظرهم كلما توغلوا فى جوف المعسكر ، ولكن لم تبد على أحدمنهم دلائل الإكتراث ، ولولا شعورهم بأهمية المهمة الملقاة على عاتقهم لما التزموا مثل هذا الحرص الشديد وهم يتحركون من مكان إلى آخر فى طريقهم إلى الداخل ، ولساروا إلى هدفهم فى خط مستقيم بدلا من إضاعة الوقت فى كل هذا اللف والدوران .

كانوا قد صمموا على إنجاز المهمة الخطيرة التى قدموا من أجلها ، وأقسموا على أن لا يعودوا قبل الفراغ منها وقبلوا بصدر رحب أقتحام عرين الأسد رغم أنهم كانوا يعرفون إن كل من سبقهم لأداء هذه المهمة لم يعد غير جثة هامدة ممزقة بعشرات الرصاصات .

وظلوا يتقدمون إلى الداخل فى خطوات ثابتة لمدة طويلة ويسارعون إلى الإختباء فى جوف أكوام الصناديق المرصوصة فى كل مكان كلما لمحوا أنوار إحدى عربات الحراسة المصفحة يلمع من بعيد ، حتى وصلوا فى آخر الأمر إلى أحد الطرق المرصوفة فاختبأوا خلف أحد المبانى القليلة الإرتفاع وأخذوا يفحصون المكان بنظراتهم ...

كانوا يعرفون جيدا طريقهم إلى داخل المعسكر ، ولذلك فانهم توقفوا ليتدبروا أمرهم عندما وجدوا أنفسهم قد تركوا خلفهم الجـــزء الخاص بالمخازن والورش وابتدأوا فى دخول الجزء الخاص بسكنى الجنود

كان لابد لهم من اختراق هذا الطريق والسير فى وسط الخيام والأكشاك العامرة بالجنود ونقط الحراسة الكثيرة للوصول إلى هدفهم الذى يقع فى الطرف الآخر من المعسكر ، ورغم الأخطار العديدة التى كانت تتربص لهم فى كل مكان حولهم فى الظلام فإن الرجال الثلاثة لم يترددوا فى الإلقاء بأنفسهم على الأرض والزحف فى هدوء بين أشباح الخيام والمبانى المنخفضة ...

وظلوا زمنا طويلا وهم يزحفون فى حرص وحذر كقطع متحركة من الظلام حتى لاح لأعينهم فى آخر الأمر ميدان صغير ، توقفوا عندما إقتربوا منه واختبأوا خلف سياج قصير من الأشجار المتشابكة وأرسلوا عيونهم الفاحصة فى كل اتجاه .

كان الميدان ضيق الإتساع يتفرع منه أربعة شوارع مرصوفة ، وعلى يمينهم يرتفع مبنى منخفض لإحدى دور السينما الخاصة بالجنود ، وأمام مبنى السينما عبر الطريق كان هناك سياج قليل الإرتفاع من القماش المقوى يحيط بعدد قليل من الخيام خاصة بسكنى رجال بوليس القسم المخصوص الإنجليزى ، ويرتفع من وراء السياج كوخ خشبى طويل ذو سقف من الصاج منحدر من على الجانبين ، ولا يختلف مظهر هذا الكوخ عن

مبانى الورش والمخازن إلا أنه أقل حجماً ، وكان هذا الكوخ مقرا لمكاتب رجال بوليس القسم المخصوص الرهيب ، ويليه مباشرة كوخ آخر مشابه له مخصص لتشغيل العمال المدنيين ، ثم بعد ذلك مبنيان صغيران خاصان برجال البوليس المصرى ، وفى الجانب الآخر على يمين الطريق ارتفعت أشباح مساكن رجال البوليس الحربى الانجليزى ، ومن خلفها المدينة الصغيرة المخصصة لسكنى عائلات الجنود ...

والتصق الرجال بالأرض وهم يحبسون أنفاسهم ، حين شعروا بأن هدفهم قد أصبح على مرمى ذراع منهم وإستعادوا فى ذهنهم صوت رئيسهم القوى وهو يلقنهم تعليماتهم ...

— لابد من إنجاز هذه المهمة على أى وجه ، ولا تترددوا إذا وجدتم أن كل المنافذ قد سدت فى وجوهكم ولا سبيل أمامكم لانقاذة ، فى إطلاق النار عليه وإراحته من كل هذا العذاب فان الرجل لن يستطيع بلغت شجاعته وقوة إرادته من أن يصمد طويلا لمثل هذا التعذيب الجهنمى وسوف تخونه شجاعته رغما عنه وتتضعضع إرادته ويعترف للانجليز بكل شىء ...

وصمت الرجل برهة قبل أن يقول بصوت مملوء بالأسى ..

— إننى أعرف الناس بشجاعة على كما أعرف أنه خير من أنجبت النساء من الرجال وأتمنى لو فقدت نور عينى لأستعيده إلى جوارى مرة أخرى . . ولكننا فى موقف دقيق يجبرنا على التضحية بهذا الرجل الباسل لإنقاذ مئات الرجال الذين تتوقف حياتهم على كلمة تخرج من بين شفتيه

وهز الرجل كتفيه فى حزن وهو يقول متمماً حديثه :

— وعلى أى حال فهو لن يعيش بعد أن يفرغ منه رجال بوليس

القسم المخصوص.

تذكر الرجال هذه الكلمات كما تذكروا آخر توصية لرئيسهم قبل أن يستديروا للذهاب فى مهمتهم الخطيرة .

— لاتدعوا أحدا منكم يسقط حياً بين أيدى الأنجليز ولا ترددوا لحظة واحدة فى إلهاب رؤوسكم بالرصاص إذا رأيتم أن جميع منافذ الهرب قد سدت فى وجوهكم ودعوهم يقبضون على جثث هامدة لاتتكلم .

وعى الرجال الثلاثة تعليمات رئيسهم وعزموا على تنفيذها بحذافيرها لأنهم كانوا يعرفون جيدا النتائج الخطيرة المترتبة على الإخلال بحرفية هذه التعليمات .

كان رئيسهم رجل ينبض كل عرق فى جسده بالوطنية الصادقة ويشع من عينيه بريق قوى من الإيمان بعدالة قضية وطنه ، ولا يعلم أحد من أين قدم ولكنهم وجدوه فجأة ذات يوم بينهم ينفخ فى بوق النضال بحماس أشعل نيران الوطنية فى قلوب الجميع ودفعهم لأن يلتفوا حوله مكونين فرقة مرعبة من الفدائيين أصبحت تقلق مضاجع الانجليز وتبعث الرعب والفزع فى قلوبهم ، وعندما سمع الرئيس بهدم قرية كفر عبده فى السويس ثارت ثائرته وأخذ يهز يديه فى وعيد والزبد يتناثر من فمه وهو يعلن سخطه على هذا الإعتداء الشنيع وأقسم على الإنتقام من الانجليز إنتقاما مروعا يكفى لأن يطفىء نيران الغضب والحقد التى أثارها هدم كفر عبده فى عروق المصريين ، وتفتق ذهنه عن خطة جهنمية يمحى بها معسكرات التل الكبير الضخمة من الوجود .

كانت خطته فى غاية البساطة ولا يتكلف تنفيذها أكثر من بعض الجرأة والبراعة فى التنفيذ ، وقد أشرف الرئيس بنفسه على كل التفاصيل

وأخذ يعمل فى هدوء وسرعة على توزيع رجاله للعمل فى مختلف المخازن والورش ونشرهم فى كل مكان من أرجاء المعسكر الكبير ، كما عمل رجاله المنتشرون فى داخل المعسكر على استمالة بعض المصريين الذين يعملون فى داخل المخازن والورش إلى جانبهم حتى يصبح لهم أعوان فى كل بقعة من المعسكر ، وكانت خطته سهلة جدا فى تنفيذها ، وكان ينتظر بفارغ الصبر وصول شحنة الصناديق المحتوية على القنابل الزمنية من القاهرة حتى يقوم بتوزيعها على جميع رجاله المنتشرون فى كل مكان ويقوم كل منهم بدوره باخفائها تحت طيات ملابسه وانتهاز فرصة مناسبة وتركها فى مكان بعيد عن الأنظار فى داخل المحل الذى يعمل فيه ، وكان ينوى ضبط جميع القنابل الزمنية على ساعة واحدة حتى تنفجر جميعها فى وقت واحد وتنتشر النيران فى المعسكر من أوله إلى آخره ويدب الهرج فى كل مكان ويصبح المعسكر الكبير قطعة واحدة من الجحيم بعد مدة قصيرة من حدوث الإنفجار ، ولن يكون من العسير بعد ذلك على قوة صغيرة من الفدائيين اصطياد الجنود المذعورين برصاصهم ...

ولم ينس الرئيس أى شىء من التفاصيل الدقيقة وخصص نفرا من رجاله وكل إليه مهمة نسف محطات إطفاء الحريق الصغيرة المنتشرة فى المعسكر ، كما وكل إلى نفر آخر مهمة قطع الأسلاك التليفونية وحراسة جميع الطرقات المؤدية إلى المعسكر لعزله عن الخارج ومنع النجدات من الوصول اليه ...

كانت خطة جهنمية حقاً وكانت إذا تحققت ستكون ضربة قاضية تزلزل الأرض تحت أقدام القوات الإنجليزية وتصيبهم بخسائر فادحة يلزمهم أعوام طويلة ليفيقوا من نتائجها ، وكان نجاحها مؤكدا لو أن القنابل الزمنية كانت قد وصلت فى موعدها ولكن وصولها تأخر أياما

كثيرة رغم الرسل العديدة التى كان الرئيس لا يكف عن إرسالها فى كل ساعة إلى القاهرة مستعجلا إرسال شحنة القنابل ...

وكان لا يمكن لمثل هذه الخطة الضخمة التى يشترك فى تنفيذها أشخاص يعدون بالمئات أن تظل سرا زمنا طويلا ، وسرعان ما تسللت أنباؤها للانجليز . . . وفجأة وبدون سابق إنذار قبض الانجليز على مساعد الرئيس الذى كان يشرف على تنفيذ الخطة فى داخل المعسكر متخفيا تحت ستار العمل فى أحد المخازن ...

كان على - مساعد الرئيس - شاباً تخرج حديثا من أحدى الجامعات وترك كل شىء وراءه وقدم إلى قريه القرين التى تقع فى ظهر معسكرات التل الكبير وكرس كل جهوده للدفاع عن قضية بلاده ، وكان رغم حداثة سنه واسع الحيلة شديد الذكاء جرىء إلى حد التهور يتكلم الانجليزية بطلاقة ، ولم يكن من العسير على مثل هذا الشخص أن يلفت إليه أنظار الرئيس ويجعله يعجب به ويتخذ منه مساعدا له ويبعث به للعمل داخل المعسكر لإستطلاع الأخبار والإشراف على تنفيذ خطط الهجوم من الداخل ...

وتلقفت أيدى رجال بوليس القسم المخصوص على لتذيقة ألوانا من العذاب الذى يعيد إلى الأذهان ذكرى محاكم التفتيش الأسبانية الرهيبة ، تحملها الشاب الباسل فى شجاعة نادرة ولم تخرج من بين شفتيه كلمة واحدة حتى لا يوقع بعشرات الموظفين والعمال المصريين الذين يعملون فى مخازن الصيانة الانجليزية وورشها ويبيتون فى الخيام المخصصة للموظفين المدنيين بداخل المعسكر .

وكان الرئيس يعرف أن للإحتمال حدودا ، كما كان يخشى أن يصيب العمال المشتركين فى الخطة الفزع والرعب وأن يولوا الأدبار هاربين

وتفشل بذلك خطته التى كلفته جهدا كبيرا للاستعداد لها ، ومنذ أن بلغته أنباء القبض على مساعده وهو يرسل الرسل تباعا لانتزاعه من بين براثن رجال القسم المخصوص ، ولكن مرت ليالى طويلة والرسل تدخل إلى المعسكر ولا تخرج منه إلا فى عربة تلقى بجثثهم الممزقة بعشرات الرصاصات على الرمال فى خارج المعسكر مما حدا به إلى المجازفة وإرسال أقرب الناس إليه وأكثرهم شجاعة وجرأة والذين يعرفون تفاصيل الخطة بأكملها ويقدرون تماما أهمية المهمة الخطيرة الملقاة على عاتقهم ...

وارتفع فى هدوء الليل صوت عواء مخيف بعث الرعب إلى قلوب الرجال الثلاثة وهم رابضون خلف سياج الأشجار القصير وهمس أحدهم فى أذن زميله

ـــ الكلاب ... !

وعاد إلى أذهانهم فورا وهم يسمعون زئير الكلاب المتوحشة الذى كان يصل إلى آذانهم من أحد المبانى المنخفضة عبر الطريق بجوار مكاتب البوليس الحربى الإنجليزى ذكرى ذلك المنظر المروع الذى شاهدوه فى صباح هذا اليوم عندما اندسوا بين العمال وتسللوا إلى داخل المعسكر واقتربوا من ثكنات البوليس الحربى لإستطلاع الأخبار ودراسة المكان دراسة وافية قبل الإقدام على مغامرتهم فى المساء ...

كان المنظر الذى شاهدوه فى هذا الصباح يبعث الرعب إلى أشد القلوب شجاعة ويميت المقاومة فى أشد النفوس استبسالا ، كما كان يعبر عن مقدار وحشية أساليب الانجليز فى معاملتهم لأسراهم ...

كانت الكلاب البوليسية المدربة مشدودة إلى سلاسل غليظة مثبتة فى الأرض فى دائرة واسعة ، وكانت السلاسل من الطول بحيث لا تسمح للكلاب بالوصول إلى الدائرة الضيقة التى وقف فى وسطها مساعد الرئيس

يحدق فى الكلاب المتوحشة فى رعب وهى تهجم عليه فى قوة من جميع الإتجاهات وتزأر فى وحشية جعلته يفقد وعيه ويتراجع رغماعنه إلى الخلف لتتلقفه مخالب الكلاب الهائجة فيندفع إلى الأمام فى جنون ليجد الكلاب المربوطة فى النصف الآخر من الدائرة على استعداد لإستقباله لتمزق ثيابه وتشخن جسده بالجراح فيرجع إلى الوراء مرة أخرى و....

ولم تقو اعصاب الرجال الثلاثة على متابعة هذا المشهد المروع فتسللوا إلى الخارج فى صمت ليعودوا فى منتصف الليل لإنقاذ مساعد الرئيس التعس ...

وشق الظلام من بعيد مصباحان كشافان لإحدى عربات الحراسة المصفحة فالتصق الرجال الثلاثة بالأرض وحبسوا أنفاسهم حتى مرت العربة واختفت عن أنظارهم وساد الظلام المكان مرة أخرى .

وأشار أحد الرجال إلى زملائه ليتبعوه وأخذ يزحف على بطنه عبر الشارع الموصوف إلى الجانب الآخر من الطريق ثم أسرع الجميع بالاختباء خلف مبنى السينما المنخفض ، وأداروا أبصارهم من حولهم فى حرص ، ولما لم يجدوا ما يبعث على الريبة تسللوا كالأشباح ناحية خط حديدى يشق المعسكر وساروا فى حذائه وتوقفوا عندما أصبحوا أمام المبنى الخاص برجال بوليس القسم المخصوص ...

كان المبنى غارقا فى الظلام ، ولم يظهر منه غير ضوء باهت كان ينبعث من خلال إحدى نوافذه المغلقة ، وكان هذا هو الأثر الوحيد الذى يوحى بالحياة فى داخله ...

وزحف الرجال فى احتراس شديد وقطعوا المسافة بين شريط السكة الحديد والمبنى فى مده طويلة وارتموا بجوار جدار المبنى وهم يحبسون أنفاسهم ثم وتحركوا للعمل فى الحال من غير أن يتبادلوا كلمه واحده كأن كل منهم

يعرف ماهو العمل المطلوب منه، وربض اثنان منهم للحراسة على طرفى الكوخ بينما تسلل الثالث واتجه صوب احدى النوافذ القريبة وأخذ يعالجها فى صبر وأناه بدون أن يحدث أى صوت ..

ومرت دقائق قليلة حافلة بالتوتر، وكاد الهدوء المخيم على المكان يقتل اعصاب الرجلين الرابضان على طرفى الكوخ عندما أحس أحدهم بيد تلمس كتفه فى خفة فكتم بصعوبة صرخة كادت أن تفلت من بين شفتيه وأدار رأسه ليجد زميله الذى كان يعالج النافذة يشير اليه لأن يتبعه، فنهض فى صمت واتجه الإثنان صوب النافذة المفتوحة وأشارا إلى زميلهما الثالث بعزمهما على الدخول ليتولى الحراسة بمفرده ...

وناول أحد الرجلين سلاحه لزميله ورفع نفسه بدون أن يحدث أى صوت ونفذ من خلال فتحة النافذة إلى جوف المبنى المظلم وتبعه زميله بعد أن ناوله سلاحيهما ..

ووجد الرجلين نفسيهما فى حجرة ضيقة عارية من الأثاث الا من منضدة خشبية صغيرة ومقعدين من الحديد، فتقدما فى صمت نحو باب الحجرة وفتحاه فى هدوء ونفذوا إلى ردهة طويلة ضيقة الاتساع لاتسمح لشخصين بالسير فيها متجاورين لمحا فى آخرها بابا يشع من تحته خيط رفيع من الضوء ...

وقبل أن يخطو الرجلان خطوة واحدة الى الأمام أرتفع من الخارج هدير احدى العربات، وهى تقف أمام الباب الخارجى للكوخ ووصل إلى أسماعهما أصوات أقدام أشخاص تقترب من الباب فأسرعوا ونفذوا من خلال باب آخر مفتوح على شمالهم إلى حجرة واسعة يسودها الظلام والتصقا بالحائط وحبسوا أنفاسهم وقبض كل منهما مدفعه الرشاش فى يده.

ونفذ القادمون من الباب الخارجي واتجهوا مباشرة إلى الحجرة المضاءة في آخر الردهة وأغلقوا الباب خلفهم ، فتنفس الرجلان الصعداء وظلا واقفين في مكانهما ينصتان الى الأصوات التي ارتفعت من الحجرة المضاءة ...

وفجأة شق سكون الليل صوت صرخة فظيعة أشبه بصرخة حيوان يتعذب ، فارتجف الرجلان في مكانهما وهمس أحدهم في أذن زميله .

ـ لقد بدأوا في استجوابه مرة أخرى ...

ولمعت عيون الرجلين في الظلام ببريق مخيف ، ووقفا يتدبران أمرهما ، كان لابد لهم من انقاذ هذا الشخص البائس الذي اطلق هذه الصرخة المملوءة بالألم التي صكت مسامعهم الآن ، وانتزاعه من بين مخالب رجال بوليس القسم المخصوص .. ولكن كيف ؟

وانبعثت من الغرفة المجاورة صرخة أخرى .... صرخة طويلة مملوءة بالعذاب الهبت دماء الرجلين وجعلتهما لا يطيقان الإنتظار اكثر من ذلك فتقدم أحدهما وفتح باب الحجرة بدون أن يحدث أي صوت وتبعه زميله واتجه الاثنين إلى باب الحجرة المضاءه التي تنبعث الأصوات من جوفها .

وضرب أحد الرجلين الباب بقدمه في عنف ، وقبل أن يستعيد الرجال المشدوهين في الداخل أعصابهم من هذه المفاجأة الغير منتظره ، وجدوا أنفسهم يحدقون في فوهات المدافع الرشاشة التي شهرها الرجلين في أيديهم .

ورمشت عيون القادمين عندما قابلت الضوء القوى الذي كان يغمر الحجرة بعد أن كانا قد مكثا مدة طويلة في الظلام ، ولكنهما استطاعا أن يلما بما يجري في داخلها من أول نظرة ...

كان ـ على مساعد الرئيس ـ مشدود الوثاق إلى مقعد خشبي ضخم وقد سالت الدماء بغزاره من كل جزء في جسده وبدا عليه التخاذل والاعياء

وقد انحنى فوقه شخص كان يمسك بآله حدد حادة يعبث بها بين اظافر يدى مساعد الرئيس الباسل ، والى جوار المقعد وقف شخص آخر أسمر الوجه يرتدى الملابس المدنية عرف فيه الرجلان أحد الخونة المصريين الذين يتحرق الفدائيون شوقا لاقتناصه منذ زمن بعيد ، ومن حولهم تناثر أربعة رجال يحملون رتبا عسكرية مختلفة ...

وحرك أحد الرجلين مدفعه فى يده وطلب من الموجودين فى الغرفة التحرك صوب أحد الجدران بينما تحرك زميله فى سرعة وتقدم من المقعد المشدود فوقه مساعد الرئيس وأخرج من جيبه مطواة حادة قطع بها وثاقة فى سرعة ثم عاونه على الوقوف ، ولكن الرجل الباسل لم يقو على التحرك من مكانه وتهالك ساقطا على الأرض فى ضجة كبيرة ...

وانحنى الرجل على زميله يريد أن يحمله على كتفه فتأوه هذا فى ألم جعل زميلهما الواقف بجوار الباب يتحول بنظره عن الرجال المصطفين بجوار الجدار وقد ندت عيناه بدمعة مشفقة تأثرا لما وصلت اليه حالة مساعد الرئيس السيء الحظ ، ولم تستغرق نظرته اكثر من ثوان قليلة ، ولكنها كانت كافيه لأن يخرج أحد الضباط المصطفين بجوار الحائط مسدسه ويطلقه عليه ...

وأحس الرجل بالرصاصه وهى تحرق صدره ، ولكنه لم يفقد رباطه جأشه وانبطح على الأرض فى حركة آليه ... وفتح فوهة مدفعه الرشاش وامطر الرجال الواقفين بجوار الحائط بسيل مجنون من الرصاص .. وظلت أصابعه تضغط على الزناد فى قوة لاشعوريه ، ثم توقف خروج الرصاص من مدفعه عندما انكفأ على وجهه بعد أن خارت قواه من تأثير الرصاصة التى أصابته ...

حدث كل هذا فى سرعة مذهلة ، وجد منها الرجل الآخر صعوبة شديدة فى تفهم ماحدث ، ولكنه نفض عنه غبار المفاجأة وترك زميله ملقى على الأرض وانحنى وتناول مدفعه الرشاش الذى كان قد وضعه بجواره الى أن يحمل مساعد الرئيس على كتفه ، ثم أسرع الى زميله الآخر الراقد بجوار الباب فوجده قد فارق الحياة ، فرفع رأسه وتطلع إلى ناحيه رجال بوليس القسم المخصوص ووجدهم مكومين بجوار الجدار حيثما هامده وقد انعقدت فوقهم سحابة كثيفة من دخان البارود ، فرجع إلى مساعد الرئيس وحاول أن يحمله على كتفه ، ولكن هذا الأخير نظر اليه بعينان تفيضان بالشكر وتمتلئان بالتضحية وأشار اليه فى حركة ضعيفه نحو الباب .

وارتفعت من الخارج فى هذه اللحظة أصوت أقدام تهرول مسرعة من كل اتجاه صوب الكوخ وامتلأ الجو فى الخارج بالضجة وانبعثت الصيحات من كل جانب ، فوقف الرجل مترددا ولكن مساعد الرئيس أشار اليه مرة أخرى نحو الباب ، وهو ينظر إلى مدفع زميله نظرة معبرة تفيض توسلا ورجاء ...

كان موقف الرجل فى غاية الخطورة فهو محصور بين واجبه نحو زميله الراقد على الأرض وبين أبالسة الجحيم التى انطلقت من عقالها مقتربة منه ...

ودوى فى الخارج أصوات بعض الطلقات النارية وامتلأ الجو بالانات وصرخات الألم فعرف الرجل أن الانجليز قد حاصروهما وأن زميله المكلف بالحراسه فى الخارج يقوم بواجبه ، فنفض عنه تردده وسارع إلى الخارج لنجدة زميله ، ولكن صيحة عتاب وألم صدرت من فم على الراقد على الأرض أوقفته ...

وتذكر الرجل أوامر رئيسهم الصارمة وتحول إلى صديقه الباسل وهو يحس بغصه فى حلقه ، والتقت عيون الرجلان ... عينان تمتلئان ألما وعذابا .. وأخرتان تفيضان بالنبل والتضحيه .. وفهم على مقدار الثورة التى تشتعل فى دماء زميله والمعركة الهائلة التى يخوضها مع ضميره فبذل جهدا كبيرحتى حرك يديه وأشار الى مدفعه الرشاش فى حركه ذات معنى ..

ودوى فى الحجرة صوت ثلاثة رصاصات تراخى على اثرها جسد مساعد الرئيس وقد ارتسمت على شفتيه شبح ابتسامة سعيدة بينما عض الرجل الآخر على شفتيه فى قوة ثم تحول كالوحش الهائج لنجدة زميله المحصور فى الخارج ...

ولمح عندما خرج من باب الكوخ شبح زميله يربض خلف عربة صغيرة من عربات الجيب وهو يطلق الرصاص باستمرار من مدفعه الرشاش فارتمى إلى جواره وهو لاهث الأنفاس وفتح بدوره فوهة مدفعه ...

وإنبعث الضجة من كل مكان من حولهما ، وكانت كل ثانية تمر تزيد من موقفهاسوءا ، وتلفت الرجلان حولهما بنظرات حيوان حبيس وقد ظهر لهما بجلاء انهما لا يستطيعان الاستمرار فى المقاومه اكثر من دقائق معدوده ، وصرخ أحدهما لزميله بصوت مرتفع ليعلو على اصوات الطلقات النارية التى كانت تزأر من حولهما .

— لاتنس وصيه الرئيس ...

فحول الرجل الآخر رأسه إلى زميله وأومأ اليه فى فهم وتحول مرة أخرى وأخذ يطلق الرصاص ، وهو يدور بعينيه فى نفس الوقت باحثاً عن

يخرج من مأزقهما ، ووقعت نظراته على سياج من الأسلاك الشائكة خلف شريط السكة الحديد ارتفعت من وراءه أكوام كبيرة من الصناديق السوداء ، فلفت نظر زميله اليه وقال له فى حزم :

ـ ازحف بسرعه نحو السياج واختبىء بين الصناديق وسوف أغطى انسحابك ..

ولم يتردد الرجل الآخر ، وتحرك وأخذ يزحف على بطنه ملتحفاً بالظلام بينما بقى زميله وراء العربة الصغيرة التى كان الرصاص يتساقط عليها كالمطر الغزير ..

واصابت رصاصة ما كينة العربة واشتعلت فيها النيران وبعد ثوان قليلة اصبحت العربة كلها شعلة من النيران أضاءت المكان من حولها بنور ساطع ، وأحس الرجل الرابض خلفها بحرارة النيران وهى تلفح وجهه وغدا جسده هدفاً ظاهراً لعيون أعدائه ، ولمح أشباحا كثيرة وهى تقفز من كل مكان فى الظلام متجهه اليه ، وبدون تردد حول فوهة مدفعه نحو صدره وضغط الزناد ، وعندما وصل اليه الجنود الانجليز وجدوه قد اصبح جثة هامدة ووجدوا اصابعه مطبقة فى قوة على زناد مدفعه والرصاص يتدفق الى صدره ...

وأحس الرجل الأخير الذى كان قد نجح فى التسلل إلى ما وراء الأسلاك الشائكة والإختباء بين كومه الصناديق المرتفعة ، بغصه فى حلقه وهو يرى على ضوء العربة المشتعلة مصير زميله المؤلم ، وتنهد فى أسى وكاد أن يفتح فوهة مدفعه على الجنود التى كانت قد تجمعت فى تلك اللحظة بكثرة عجيبة حول مبنى بوليس القسم المخصوص لولا أنه رأى حماقة هذا التصرف ، ورأى أن من واجبه أن يعود إلى القرية لينقل إلى الرئيس تفاصيل ما حدث ، حتى يوفر عليه مشقة إرسال بعثات أخرى لانقاذ

مساعده ، ولكى يطمئن فى نفس الوقت إلى أن الانجليز لم يعرفوا بعد تفاصيل خطته ...

وانتهز الرجل فرصة الاضطراب الذى استولى على الجنود المجتمعين حول العربة المشتعلة وتسلل بهدوء ملتحفاً بالظلام ، ولم يبتعد اكثر من بضعة خطوات حتى دوى فى أرجاء المعسكر الكبير صفير عربات البوليس الحربى المزعج ، ولمح اعمدة الأنوار الكاشفة وهى تشق الفضاء وتكتسح الرمال بضوئها الباهر فى دورات سريعة بحثا عن جيش الفـــدائيين الذى خيل اليهم فى اضطرابهم انه قد احاط بالمعسكر من جميع الجهات

وضحك الرجل بصوت خافت فى سخرية ثم أسرع فى خطواته محتميا بظلال الصناديق العالية والظلام المتكاثف الذى يغمر المكان ، حتى وصل إلى الطريق المرصوف ، فتوارى خلف أحد المبانى المنخفضة ، وأرسل بصره الى الطريق فوجده شعلة من الأنوار وبهر عينيه أضواء عدد كبير من مصابيح عربات الحراســـة الكشافة وهى تدور فى شتى الاتجاهات ، فأرجع رأسه إلى الوراء ووقف فى الظلام يتدبر موقفه ...

وفجأة ... وصل إلى اذنيه من بعيد صوت زئير مخيف يرتفع فى هدوء الليل ، فارتجف رغما عنه وقفز الى ذهنه ذلك المنظر المروع الذى شاهده فى هذا الصباح ...

وأيقن الرجل أن منافذ الإفلات قد سدت جميعها فى وجهه وأن الكلاب البوليسية المتوحشة سوف تمسك بتلابيبه بعد دقائق ، ولكنه لم يسمح للخوف بالتسلل الى نفسه ، وامسك بمدفعه فى قوة وربت عليه فى عطف وحنان وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ...

كان يعرف انه من العبث أن يحاول اجتياز الطريق المرصوف إلى الخارج ، أو الخروج إلى العراء فسوف يمسك به الحراس بمجرد ظهوره، ولذلك فإنه تراجع إلى وراء المبنى المنخفض وتسلقه وارتمى على وجهه فوق سطحه وأخذ يراقب الطريق بعينيه الحادتين .

لم يكن يود أن يموت قبل أن يرسل إلى الجحيم بعض جنود الإنجليز ، ووجد أن فى هذا عزاء لموته وتسلية لروحه حتى لاتشعر بالوحدة فى خلال رحلتها الطويلة إلى السماء ، ولذلك فانه ربض فى مكانه منتظرا الفرصة السانحة لتنفيذ عزمه مع الاحتفاظ لنفسه ببعض الطلقات فى مدفعه ليفرغها فى صدره قبل أن يطبق عليه جنود الانجليز . . .

وفجأة لمعت عيناه فى أمل عندما أبصر باحدى عربات الحراس المصفحة وهى تبرز من منعطف فى الطريق يتقدمها مصباحاها الكشافان وقفزت إلى ذهنه وهو يراقبها وهى تتقدم فى بطء إلى ناحية المكان الذى يختبىء فيه فكرة جنونية عول على تنفيذها فى الحال ...

وانتظر الرجل فى صبر حتى جاوزته العربة ، ثم أرسل نظرة سريعة فى الشارع فوجده هادئاً ولم يلمح لحسن الحظ أنوار عربات أخرى قادمة من نفس الطريق ، فقفز بخفة الفهد من فوق سطح المبنى المنخفض وأخذ يعدو خلف العربة ثم مديده وتعلق بمؤخرتها وظل رابضاً فى مكانه مدة قصيرة يستجمع أنفاسه اللاهثة ...

كانت العربة المصفحة من النوع المقفول من جميع الجهات ذات فتحة مستديرة فى أعلاها يبرز منها فوهة مدفع رشاش يدور فى جميع الاتجاهات، وينفذ الراكب إلى داخلها من خلال فجوة واسعة فى أعلا الفتحة

المستديرة التى تبرز من فوق سطحها . . .

وزحف الرجل فى بطء وحذر إلى أعلا العربة حتى وصل إلى سطحها فمد رأسه باحتراس شديد والقى نظرة فى جوفها ، فلمح شخصين يرتديان الملابس العسكرية ، يجلس أحدهما وراء مقعد القيادة بينما كان الآخر مشغولا بتحريك مصباح العربة الكشاف فى حركات سريعة يفحص الطريق . . .

وفوجىء الجنديان الجالسان فى جوف العربة بصوت يصيح بهم باللغة الانجليزية يأمرهم بعدم الحركة ، وأداروا رؤوسهم إلى الوراء وأخذوا يحملقون فى ذعر فى فوهة المدفع الرشاش الذى يطل الموت من فتحته المظلمة . . .

وحرك الرجل مدفعه فى يده مرة أخرى وطلب من السائق أن ينحرف بالعربة عن الطريق المرصوف ويدخل بها إلى جوف الرمال ، فتردد السائق برهة ولكنه قرأ فى نظرات الرجل الرابض فوق سطح العربة مادفعه لأن يسرع الى تنفيذ ماطلب ...

وأمر الرجل السائق أن يوقف العربة خلف جدار أحد المخازن ، وأومأ إلى الجنديين للخروج من العربة وأيديهم إلى أعلا ، وابتعد قليلا وأخذ يراقبهم وهم يتحركون لتنفيذ أوامره وهو على أتم الاستعداد لإلهاب رؤوسهم بالرصاص عند أقل بادرة تصدر منهم توحى بالمقاومة . .

وصعد الرجل الجنديين وهما واقفان بجوار جدار المخزن بنظراته ، ثم أشار إلى أكبرهما حجما وطلب منه أن يخلع ملابسه ، وعندما تردد الجندى فى إطاعة الأمر زام الرجل بشفتيه فى وحشية وتحركت أصابع يديه فى اتجاه زناد المدفع الرشاش فاسرع الجندى وأخذ يخلع ملابسه

بدون أن يتفوه بكلمة واحدة وهو يرتعد بشدة ...

وأخذ الرجل يبدل ملابسه بسرعة كبيرة بعد أن أمر الجنديين بادارة وجهيهما إلى جدار المخزن ورفع أيديهما إلى أعلا ، ثم تهدفى ارتياح والقى إلى الجندى المرتدى ملابسه بملفحته الصوفية وطلب منه أن يشد بها وثاق زميله الذى كان واقفا يرتجف فى شدة من البرد والخوف معا ..

لم تستغرق عملية إبدال الملابس وشد وثاق الجندى الآخر وتكميم فمه أكثر من دقائق معدودة ، وبعد أن جر الجندى زميله والقى به فى جوف كومة مرتفعة من الصناديق سار أمام الرجل وهو يرتعش ودخل جوف العربة والرجل فى أثره ...

وطلب الرجل من الجندى أن يقود العربة المصفحة فى اتجاه باب المعسكر الشمالى الذى يفضى إلى قرية القرين ثم أخذ يلقى عليه فى سرعة وحزم بتعليماته باللغة الانجليزية ...

- سوف يستوقفك الحراس عندما تصل إلى البوابة ، ويسألونك عن سبب خروجك إلى خارج المعسكر فى هذه الساعة ، فكن عاقلا وانتحل أى سبب ولا تحاول أن تثير شبهتهم بأى طريقة ، وسوف تمر بسلام إذا نفذت ماأقوله لك ، وسأظل أنا طوال الوقت بجوار مدفع العربة الدائرى ولن أستغرق أكثر من ثوان قليلة فى قتل جميع حراس البوابة إذا بدرت منك أى حركة توحى بالمقاومة ، ولن يكون من العسير على بعد ذلك أن أقتلك وأقود العربة بنفسى إلى الخارج ، وقبل أن يتمكن أحد من معرفة ماحدث سوف أكون قد ابتعدت أميالا طويلة خارج المعسكر ...

وأومأ الجندى برأسه فى خوف ، فابتسم الرجل فى مرح ، ورجع

بظهره إلى الوراء وأخذ يراقب الطريق من خلال فتحة صغيرة فى جدار العربة ، واطمأن عندما رأى العربات الأخرى تمر بهم فى سرعة بدون أن تلقى اليهم التفاتا . . .

وهفت نفس الرجل إلى التدخين فتحسس ملابسه العسكرية التى يرتديها وعثرت أصابعه على علبة من التبغ الانجليزى أخرجها وأشعل منها لفافة أخذ يجذب أنفاسها فى عمق ولذة كبيرة .

وألقى الرجل بباقى لفافته على الأرض وداسها بقدمه ثم انتصب واقفا عندما لاحت لعينيه أضواء البوابة ، ووضع مدفعه الرشاش إلى جواره بعيداً عن متناول يد الجندى الذى يسوق العربة ، ثم أدخل رأسه فى جوف الفوهة المتسعة وربض بجوار مدفع العربة الدائر وهو يحبس أنفاسه . .

وبرز عدد من الجنود من كوخ خشبى صغير قائم بجوار البوابة عندما شاهدوا أضواء العربة القادمة نحوهم ولوح أحدهم لها بمصباح ذو ضوء أحمر فى يده . . .

وتوقفت العربة وارتفع من الخارج أحد الأصوات متسائلا فرد عليه الجندى الجالس خلف مقعد القيادة وقال بحكم العادة

ـ نحن ذاهبين فى أثر بعض الرعاع الذين هربوا خلال الأسلاك الشائكة . . .

وتقدم أحد الحراس وألقى نظرة إلى داخل العربة ، ورأى الجندى الواقف خلف المدفع الرشاش ، ولم ير وجهة المختفى فى جوف فتحة المدفع الدائر فابتسم . . .

وقال حارس البوابة أخيرا عندما لم يجد شيئا يثير الشبهة .

ـ حسنا . . .

وأشار رئيس الحراس إلى أحد الجنود ، فتقدم هذا ورفع العارضة الخشبية المتحركة التي تسد الطريق ثم فتح البوابة على مصراعيها، فتحركت العربة المصفحة في بطء الى الخارج . . .

وتنهد الرجل الرابض خلف الدفع الرشاش في ارتياح وخفض رأسه وأخذ يمسح العرق المنصبب على جبينه رغم برودة الجو ، ثم طلب من الجندى أن يدور بالعربة ويسير قليلا بحذاء الأسلاك الشائكة حتى لا يثير شبهة حراس البوابة ، وعندما ابتعدت العربة بمسافة كافية أمره بأن يستدير بها في اتجاه القرية . . .

وتوقفت العربة أخيرا على مسافة قريبة من القرية ، وساق الرجل الجندى الذى ابتدأ الاصفرار يكسو وجهه بشكل مريع إلى الخارج . .

ووقف الجندى على الرمال وهو يرتجف في شدة ، ويحاول الكلام

ـ ماذا ستفعل بى . . ؟

خرجت هذه الكلمات من بين شفتى الجندى المرتعدتين وهو يحدق في الرجل بخوف ، فتطلع إليه هذا الأخير وأخذ يفحصه بنظراته ... كان الجندى شاباً يافعاً يوحى منظره بأنه لم يبلغ العشرين عاما بعد .

وقال الرجل أخيرا وهو يتطلع إلى الجندى برثاء ...

ـ أتستطيع أن تقول لى ما الذى يمنعنى من قتلك ؟ . .

وازداد اصفرار وجه الجندى واهتزاز يديه وهو يقول فى سرعة وبصوت مخنوق يكاد أن يغص بالدموع . . .

ـ ولماذا تقتلنى ياسيدى ؟ لقد نفذت كل ماطلبته منى وساعدتك على الإفلات من داخل المعسكر . .

وصمت الجندى برهة لكى يزدرد ريقه ثم قال فى صـــوت

حافل بالرجاء . . .

— أرجوك أن تدعنى أرجع بسلام ، فإنك لن تجنى شيئاً من وراء قتلى ، وأنا وحيد والدى العجوزين اللذان سوف يقتلهما ولا شك خبر موتى ، كما أن لى خطيبة شابة تنتظر رجوعى بفارغ الصبر . . .

ورفع الرجـــل رأسه فى سرعة وتصلبت نظراته وهو يقول للجندى مقاطعا :

— بالله السموات . . هل تظن أنك الوحيد الذى له والدين عجوزان سوف يقتلهما نبأ موته ، وإنك أنت فقط الذى له خطيبة تعد الدقائق إنتظارا لرجوعه . . .

واشتدت نبرات صوت الرجل واندفع يقول فى ثورة وهو يحدق فى وجه الجندى الذى هربت منه الدماء :

— وماذا عنا نحن ؟ أليس لنا آباء وأمهات ينتظرن رجوعنا ؟
أليس لنا خطيبات وزوجات مثلكم ؟
أليس لنا نفس الحق فى الحياة مثلما لكم ؟
هل فكرتم فى هذا وأنتم تفتحون فوهات مدافعكم الرشاشـــة على صدور المواطنين العزل الأبرياء ؟

هل فكرتم فى عدد الأمهات والآباء الذين ينتظرون أبناءا لن تعود ؟

هل فكرتم فى الزوجات التى جفت الدموع من عيونها من كثرة البكاء حزناً على أزواجهم الذين تحطمت أجسادهم تحت عجلات دباباتكم الثقيلة ؟ . . .

هل فكرتم فى عدد الأطفال الذين تيتموا بدون وجه حق وسقط آبائهم صرعى برصاص مدافعكم الرشاشة التى ترسلونها بغير حساب

ومجرد التسلية ؟ . . .

وتوقف الرجل عن الحديث ليلتقط أنفاسه وأخذ يتأمل الجندى الواقف أمامه يستمع له بحيرة ودهشة كأنه يستمع إلى هذه الحقائق لأول مرة ، ثم قال أخيرا بصوت حافل بالمرارة

ـ لاريب أنكم لم تسألوا أنفسكم هذه الأسئلة من قبل ؟ وإلا لما استمر رجال جيشكم يعيثون فى أرض بلادنا فسادا ويتركون وراءهم الخراب والدمار فى كل مكان يحلو به ، ولا شك أنكم قد ظننتم أننا جماعة من البرابرة المتوحشين الذين لا يستحقون الحياة

ـ لاأستطيع أن أقول أنك مخطىء فى كلامك . . ولكن . . ولكنى حضرت الى هنا مرغما وأنا وزملائى نكره وجودنا فى بلادكم بقدر ماتكرهوننه أنتم ولكنها هى الأوامر كما تعرف . .

فقال الرجل بهياج مقاطعا

ـ سحقا لهذه الأوامر .. لماذا لاتعلنون العصيان على مثل هذه الأوامر الجائرة ...أليس لكم عقول تفكرون بها ؟لقد خلق الله الناس أحرارا . . فلماذا تتحدون التعاليم السماوية وتحتلون الشعوب وتكبلوا أهلها بسلاسل الذل والاستعباد ؟

وأردف الرجل وهو يطلق من جوفه ضحكة ساخرة

ـ أم أنكم ... تعتقدون أن الحرية هى وقف عليكم فقط ؟

وران على المكان لحظة صمت ثقيلة بينما كان الجندى يدور بعينيه من حوله فى يأس بنظرات حيوان حبيس ثم تحركت شفتاه وحاول الكلام ولكنه وجد نفسه عاجزا عن التفوه بكلمة واحدة

وارتفع صوت الرجل مرة أخرى

— هل تستطيعون .. مهما بلغتم من قوة ايقـــاف الزوابع عن الدوران فى السماء ؟ وهل يمكنكم مهما بلغتم من الجبروت ان توقفوا المطر عن الهطول وأن تمنعوا المياة من الفوران فى المحيطات ...؟

وضحك الرجل بوحشية وهو يقول متهما

— اننا نستمد من الإجابة على هذة الأسئلة الإيمان الذى يلهبنا بحراره الكفاح ، ويجعلنا نستميت فى الدفاع عن حريتنا التى هى هبة من السماء . . . وسوف ترون بأعينكم عما قريب كيف ستثور الزوابع وترعد السماء وتفور المياه فى المحيطات . . فهذة هى سنة الطبيعة ، وعندما يحدث هذا سوف نقف نحن على مبعدة نراقبكم ونحن نضحك من اعماق قلوبنا وانتم تدورون فى وسط العاصفة الهائجة ونستمع فى تشفى لصرخاتكم الحائرة وانتم تسائلون انفسكم ...

ـ ما هى الأسباب التى ترغمنا على البقاء وسط هذا الجحيم ..؟ وأؤكد لك انكم سوف لا تجدون إجابة على هذا السؤال ..

وتوقف الرجل عن الحديث ثم سأل الجندى بغتة .

— ماذا يكون شعورك لو استيقظت من نومك فى أحد الأيام وفتحت عينيك لتفاجىء برأى قوات مصرية تحتل كل مكان فى لندن ؟

وفتح الجندى عينيه فى دهشة وهرش فى رأسه بحثا عن جواب لهذا السؤال الغير متوقع وقفز الى وجهه رغما عنه علامات الاستنكار لمجرد الفكرة . . وضحك الرجل ضحكة طويلة وقال وهو يتأمل قسمات وجه الجندى المصفرة ويربت بلطف على كتفه .

— كلا يا بنى . . . سوف لا أقتلك ... فلسنا نحن بالجزارين الذين يقتلون لمجرد حب القتل مثل ابناء جلدتك المتمدينين ، وإنما نحن قوم ندافع عن

مبدأ مقدس ونقاتل لاسترداد كرامتنا وحريتنا المسلوبة ، ولن نلجأ للقتل الا إذا اضطرتنا الظروف الى ذلك ، ولن نتردد حين يحين الوقت عن تمزيق اجسادكم وسلخ رؤوسكم كما كان يفعل الهنود الحمر . . .

وصاح الجندى غير مصدق آذانه

ـ هل . . . هل تعنى أننى يمكننى الذهاب ؟

وأومأ الرجل برأسه مجيبا فى صمت

ولم ينتظر الجندى أكثر من ذلك ، واستدار فى سرعة وانطلق يعدو مجنون فى اتجاه المعسكر كما لو كانت الشياطين تطارده ...

ووقف الرجل لحظة يحدق فى ظهر الجندى ، ثم تنهد بعمق واستدار وصعد الى جوف العربة المصفحة وتحرك بها صوب القرية النائمة ، وسرعان ما إختفى فى احشاء الظلام ....

إقرأ فى مايو القـــادم

أقوى مجموعة من القصص الوطنية الملتهبة ظهـــرت

فى تاريخ الأدب العربى الحديث

ثلاث كلمات صغيرات .

أما معنى هذه الكلمات ، ومن يكون هذا « القميق » وذاك « القاروق » فهذا كان آخر شيء كنت أعرفه ، وإنما هي مجرد كلمات كانت قد علقت في ذهني من كتاب قديم كنت قد قرأته منذ سنوات إسمه « المسامير في علم الصراصير » تأليف كاتب فطحل ، وأشك في أن مؤلف هذا الكتاب نفسه يعرف معناها ، وأغلب ظني أنه كان قد اقتبسها من كتاب لمؤلف أقدم منه ، الـ ....

رأيتها ، فأحببتها ، فتزوجتها ...

ثلاث كلمات صغيرات كانت تخرج من بين شفتى بطريقة آلية فى محاولة يائسة للدفاع عن نفسى كلما سمعت تعليقات أصدقائى اللاذعة وهى تدور حول زوجتى الشمطاء ، وتعودت أن أتمتم بها فى صوت خافت بين شفتى بدون وعى كلما لمحت نظرات العجب والاشمئزاز تصوب نحوى من كل اتجاه وأنا سائر بجوار زوجتى العزيزة فى الطريق ، ثم أصبحت أرددها لنفسى لاقنعها بأنى لم اكن حقا مغفلا حين أقدمت على الزواج من هـــذه الشرية النسائية ...

وتنهدت فى عمق وأنا أجلس على أحد المقاعد الخشبية فى عربة الترام الخالية ، وحاولت أن أشغل نفسى بأى شىء لأطرد عن ذهنى ذكرى زوجتى العزيزة ولو برهة قصيرة ، فأرسلت نظراتى إلى خارج نافذة عربة الترام وأخذت أراقب ناظر المحطة وهو جالس يتثاءب فى كسل بداخل الكشك الخشبى الصغير القائم فى طرف الرصيف ويتأمل عربات الترام المتراصة امامه بنظرات حالمة فى اعجاب واعزاز ...

رأيتها ، فأحببتها ، فتزوجتها . . .

خرجت هذه الكلمات مرة أخرى من بين شفتى رغما عنى عندما ارتدت أنظارى من خارج نافذة الترام واستقرت على مظروف كبير الحجم أصفر اللون يبرز من جيب سترتى الأيمن ، فمددت يدى وأخرجته من جيبى وأخذت أعبث به بين أصابعى وأنا شارد الذهن . .

من يصدق أن كل مأساة حياتى يمكن اختصارها فى مجرد ثلاث كلمات صغيرات ؟!

إنها حقا ثلاث كلمات . . ولكنها تحوى بين حروفها ما يكفى لأن يملأ مجلدات ضخمة . . من الأكاذيب . .

رأيتها . . .

وهذه هى أكبر الأكاذيب ، فأنا لم يسبق لى قط رؤية زوجتى قبل ليلة الزفاف ، وكان كل ما رأيته لها صورة لفتاة جميلة أسالت لعابى عرفت فيما بعد انها صورة لاحدى ممثلات السينما من التى تباع بكثرة بجوار سينما أولمبيا - أحضرتها لى إحدى الخاطبات فى وقت كنت أفكر فيه جديا ولأول مرة فى الزواج . .

كنت فى ذلك الوقت قد اتممت العقد الخامس من عمرى السعيد منذ سنوات ، وقد ابتدأ الروماتزم يزحف فى وقاحة وجرأة غريبة إلى كل ركن فى جسدى ، وكنت أريد أن أتقاعد عن العمل خصوصا بعد أن انتقل رئيسى فى المصلحة إلى رحمة الله وتسلم العمل بدلا منه أحد زملائى الأنانيين الذين لا يراعون حقوق العشرة والزمالة . . .

كان رئيسنا السابق رحمه الله رجلا ديموقراطيا بمعنى الكلمة ، وكنا كلنا جميعا نحبه ونقدره ونحترمه لأخلاقه الكريمة وصفاته النادرة . وقد تعودنا فى الأيام القديمة أن نمضى أنا وزملائى ساعات الصباح الأولى فى الاستماع إلى نكاته الباردة وحديثه السخيف ونحن لا نكف عن الضحك من أعماق قلوبنا من منظر صلعته اللامعة وكرشه المنتفخ . . .

وكانت ديمقراطية هذا الرئيس العظيم تتجلى بشكل واضح عند ما يكف عن الحديث ويأخذ فى الإنصات الينا ونحن نقص عليه ما عن لنا من السخافات

وهو يتصنع الاهتمام لحديثنا ورأسه لا يتوقف لحظة واحدة عن الاهتزاز في تأكيد لما نقول ، ولا تنقطع الضحكات الصفراوية عن الخروج من صدره الضخم وهو ينصت الينا كما لو كان ينصت إلى سعادة البيه المدير العام . . ولهذا لم يكن من العجيب أن نحبه جميعا ونحترمه وأن نشعر بعد فقده بفراغ هائل لا يعوض . .

وكان أملنا أنا وزملائي كبيرا في أن يكون رئيسنا الجديد على خصال الرئيس القديم الطيبة ، لاسيما وانه احد زملائنا القدامى ، ولكنا مالبثنا أن شعرنا بالفرق الشاسع بين الاثنين ، وكان ذلك عندما جمعنا الرئيس الجديد في مكتبه في أول يوم له في الرئاسة وأخذ يقص علينا لساعات طويلة حديثا سخيفا لا معنى له كان لا يجرؤ منذ أيام قليلة على مجرد التفوه بكلمة واحدة منه ونحن لا نكف عن الضحك ودق الأرض بأقدامنا في قوة اظهارا لحماستنا الشديدة لما يقول ، وعندما حاولنا أن ندلي بدلونا في الحديث كما تعودنا ان نفعل مع رئيسنا السابق تجهم وجهه وأخفى رأسه بين كومة عالية من الملفات القديمة كان رئيسنا السابق رحمه الله يحتفظ بها دائما فوق مكتبه ليوهم بها الجميع بخطورة مركزه ومسئولياته الكثيرة ، وتأكدنا بعد محاولات عديدة فاشلة بأن حضرة الريس الجديد رجل اناني بمعنى الكلمة يعرف حقوق الرياسة ولا يسمح لأحد غيره بالحديث وقص النكات الباردة ...

ولهذه الأسباب مجتمعة لم تجد المخاطبة عناء شديدا في اقناعي بالزواج فقد كانت العروس المنتظرة فضلا عن شبابها وجمالها الفاتن تملك منزلا كبيرا يحتوي على سبعة شقق واسعة وثلاث دكاكين وجراج كبير . .

ولم أكن أنا أقل عن المخاطبة حماسا لاتمام الزواج ، فقد هفت نفس الى

التحرر من قيود الوظيفة الى الأبد والانصراف الى معالجة أطرافى التى كان الروماتزم لا يكف عن مداعبتها بمزاجه الثقيل، وغمرنى فيض لذيذ من السعادة وأنا أحلم بالمستقبل الباسم الذى ينتظرنى بين أملاك زوجتى المنتظرة وأحضانها الدافئة ...

وتمت اجراءات الزواج فى وقت قصير، فى هدوء وبغير ضوضاء وبدون أن يحدث بين الطرفين أى مشادات أو خلافات كما هو مألوف فى مثل هذه الأحوال، ووجدت نفسى فى آخر الأمر اجلس فى الكوشه إلى جوار زوجتى الحسناء وأنا لا أستطيع منع نفسى من اختلاس النظر الى ثديها البارزين الى الامام فى اغراء شديد وأحاول أن أكون فكرة عن جمال وجهها الساحر الذى كان يغطيه ذلك النقاب الكثيف الذى اسدلته على وجهها والذى كانت تقاليد عائلة زوجتى المحافظة تقضى بعدم رفعه الا بعد أن تنفرد ببعضنا بعد انتهاء مراسيم الزواج ...

وشعرت ليلتها وأنا جالس أتقبل التهانى ونظرات الإعجاب والحسد من الجميع بالفرح يغمرنى وبالعرق البارد يبلل جسدى فى نفس الوقت وأنا اتحسس فروة الشعر الأسود اللامع التى كنت قد وضعتها فوق رأسى لتحجب صلعتى ولتضفى على هيئتى مظهر الشباب ..

وزاد فى اضطرابى واحساسى بخستى وبفداحة ما أقدمت عليه من الغش والخداع تلك النظرات المختلسة التى كانت زوجتى لا تكف عن ارسالها إلى شعرى اللامع المصقول، وأخذت أكيل فى سرى اللعنات لهذا الصديق الخبيث الذى أشار على بهذه الفكرة، وشعرت وأنا اتلقى عبارات المديح والاطراء من أقارب زوجتى بتفاهة شأنى ووضاعة أصلى لأننى سمحت لنفسى بالاقدام على خداع هؤلاء القوم الطيبين ..

وأخيراً حانت الساعة الرهيبة ، ووجدت نفسي أسير بين رقص العوالم ودقات الدفوف ورعد الزغاريد إلى حجرة زوجتي . .

وعندما دخلت الى الحجرة نهضت زوجتي واقفة لاستقبالي وهي تفرك يديها في خجل شديد فاقتربت منها وعلى شفتي ابتسامة هادئة وأنا أحدثها في لطف وحنان لاهدىء من أعصابها الثائرة حتى تطمئن الى ، ثم مددت يدي برقة أريد رفع نقابها الكثيف لامتع عيني بمنظر وجهها الساحر ، ولكنها أفلتت مني بحركة رشيقة وتحركت في خفة الغزال واتجهت نحو مقعد في ركن معتم من الحجرة وارتمت عليه وأسندت رأسها على يديها . .

ووقفت جامدا في مكاني اتأمل عروسي المسكينة في اشفاق ، ثم ارتميت على احد المقاعد بعيدا عنها حتى لا أزيد في رعبها ، فلا ريب ان اعصابها لم تتحمل فكرة وجودها منفردة لأول مرة مع رجل غريب في حجرة واحدة ..

وطال بنا الوقت ونحن جالسين مبتعدين من بعض نتبادل الحديث ، وقد خيل الى انني قد انتقلت الى نعيم مقيم ، واخذت أنصت الى نغمات صوت زوجتي الساحر الذي كان ينبعث من الركن المعتم في اذة وشغف وأنا أحسد نفسي على كل هذا الهناء وأبارك في سري الخاطبة الطيبة القلب التي أهدتني هذا الملاك . .

ومع مرور الوقت رأيت أن انتهز الفرصة واستغل قلة خبرة زوجتي وسذاجتها التي تكشفت لي من حديثها للخروج من ورطتي التي أوقعني فيها ذلك الصديق اللئيم فاستجمعت شجاعتي وقلت لها في تردد

- هل تسمحين لي ياحبيبتي باعتراف صغير ؟

وانبعث صوتها الساحر من الركن المظلم وهي تقول في تشجيع

— تفضل . . .

وغرق جبينى فى فيض من العرق البارد ، ولكنى رايت ان انتهز الفرصة السانحة واعترف لها بنفسى قبل أن تكشف هى الأمر ، فقلت بسرعة كما لو كنت اخشى ان تخونني الكلمات

— إننى . . انى اضع على راسى شعراً مستعارا و . . .

ونكست راسى فى خجل ولم يسعفنى لسانى باتمام جملتى ، ولكنى اضطررت لأن ارفعها بسرعة مرة ثانية عندما انبعث من الركن المظلم الذى التجأت اليه زوجتى صوت ضحكة طويلة هازئه . .

وشعرت فى هذه اللحظة اكثر من اى وقت آخر بمقدار حماقتى حين اقدمت على هذا العمل الأخرق وتاكدت من اننى قد سقطت من عين زوجتى ، وفقدت احترامها الى الابد ، واخذت اراقبها وهى تتلوى فى مكانها من الضحك ، وانا لا املك نفسى من العجب من هذا التغيير المفاجىء الذى احدثه اعترافى فيها . . .

وأخيرا قالت زوجتى بدلال وهى تقترب من ناحيتى بخطوات رشيقة

— ياشيخ قول كده من الصبح خلينى أقلع طقم أسنانى . .

تفوهت زوجتى بهذه الكلمات وهى تلقى بنفسها على المقعد المقابل لى وتضجع عليه بتراخ ، ثم مدت يدها ورفعت فى قلة اكتراث نقابها الكثيف عن وجهها وهى تنظر لى فى تحد واستهتار . .

وأخذت أحدق فى زوجتى بنظرات بلهاء وأنا أكاد اصعق من الدهشة وجسدى ينتفض من الرعب والاشمئزاز من بشـــاعة الوجه الذى طالعنى من خلف نقابها . .

فى هذه الليلة فقط خيل لى إننى أحب زوجتى اكثر من أى شىء فى العالم فقد ظهرت لى رغم دمامتها وانفها الكبير الذى يهزأ بأنف المرحوم سيرانو دى برجراك الشهير وجلد وجهها المتكرمش الذى يوحى بعدد من السنين تفوق عدد سنين عمرى المديد فقد ظهرت له رغم كل هذا أنها خفيفة الروح طلقة اللسان خبرت الحياة كثيرا وكان هذا هو فى الواقع الصنف الوحيد من النساء الذى كنت احلم به فهو اقدر على فهم الرجال من اولئك الشابات الطائشات .....

أخذت أعزى نفسى بهذه الأفكار وأنا جالس أحدق فى وجه زوجتى بإشمئزاز وأراقبها وهى تمد يدها تحت وسادة المقعد الذى تجلس عليه وتخرج علبة من لفائف التبغ ، انتقت منها واحدة والقت إلى بأخرى ثم أضجعت فى مقعدها وبعد أن أشعلت لفافتها والقت إلى بعلبة الثقاب ، أخذت تشد أنفاس لفافتها فى قوة وتلذذ كبير ...

وأشعلت أنا الآخر لفافتى وأخذت أدخن فى عصبية وأنا أحاول طرد الأفكار الشريرة التى ابتدأت تغزو رأسى فى هذه اللحظة فى إغراء شديد ثم مددت يدى وخلعت نظارتى حتى لا أرى الهوة المظلمة التى كانت تظهر فى وجه زوجتى كلما همت بالحديث ، ولكنى وجدت نفسى مضطرا إلى تثبيتها مرة أخرى على عينى عندما خيل إلى أننى أرى شبح يد زوجتى وهى تخرج من صدرها أجساما ملتوية على هيئة الأفاعى ..

وأخذت انقل بصرى فى دهشة شديدة بين ثدىى زوجتى البارزتين وهما ينخفضان بالتدريج مثل عجلة المطاط حين تفرغ من الهواء ، وبين كومة من ضفائر القماش الملفوفة فى عناية التى أخرجتها من صدرها ووضعتها أمامها فوق المنضدة المنخفضة التى تفصل بيننا والتى كانت منذ لحظة

قصيرة تضفى على ثديها إغراءا يسيل له اللعاب ...

واضطجعت زوجتى مرة أخرى على مقعدها وهى تتنهد فى إرتياح وتنظر إلى نظرة حافلة بالمعانى ، ثم جلست تراقبنى فى صبر نافذ ، ففهمت ماذا تعنى ومددت يدى بدورى إلى فمى وخلعت أسنانى الصناعية ثم نهضت إلى ركن الحجرة وأحضرت لفافة كبيرة من القماش رجعت بها وجلست على المقعد وأخذت ألف جسدى فى الأحزمة الصوفية الثقيلة التى أستعين بها على محاربة الروماتزم ، وأنا أتبادل النظرات مع زوجتى فى تفاهم وقد غمرنا نحن الإثنين شعور من السعادة والهناء ...

وبت ليلتها وأنا أحلم بالمستقبل الباسم الذى ينتظرنى وأمنى نفسى بشيخوخة هادئة أمضيها بين أملاك زوجتى وقد ارتفعت قيمتى فى نظرى بعد ما تبينت لى حقيقة زوجتى ، وتبدد من نفسى كل شعور فيها بالقلق من المستقبل ...

ولكن الأيام القليلة التى تلت ليلة الزواج حطمت فى قسوة كل هذه الأوهام التى كانت تملأنى ، وتكشفت لعينى منذ صباح اليوم الأول لليلة الزفاف حقائق بددت كل ما كنت أتشبث به من الأمانى والأحلام وعرفت أن المنزل الذى قيل لى أن زوجتى تملكه ليس خاصا بها وحدها وإنما يشاركها فيه كل أفراد عائلتها الكريمة التى يزيد عدد أفرادها عن الثلاثين شخصا ، وأن المنزل الكبير لا يدر إيجارا لأن أفراد العائلة الكبيرة يحتلون كل شبر فيه وأن كل هذا الجيش العرمرم يعيش على الجنيهات القليلة التى يدرها ايجار الدكاكين الثلاثة والجراج ...

كانت هذه المعلومات صدمة حقيقية لى ، لا تقاس بمقدار ما صدمت به عندما اكتشفت دمامة وجه زوجتى العجوز ، وتملكتنى بعد أن عرفت كل

هذه الحقائق المريرة رغبة عنيفة فى الانطلاق والبحث عن هذه الخاطبة الجهنمية التى أوقعتنى فى هذا الشرك المخيف ، واستخلاص روحها الخبيثة من بين جسدها ، ولكنى لم أستطع التحرك من مكانى لإننى شعرت بالروماتزم يتفاعل مع دمائى الثائرة من الحنق وخيبة الأمل ويشلنى عن الحركة ...

ولم يكن هناك حد لثورة زوجتى وأقاربها عندما عرفوا بأننى كنت قد استقلت من وظيفتى فى الحكومة بعد أن أخرجت لسانى لرئيسى الجديد وقلت له رأيى فيه بصراحة ، وذلك قبل الزواج ببضعة أيام ، فقد كانوا جميعا يبنون كبار الآمال ويحسبون بدقة كل وسائل الترفيه التى يمكن لمرتبى المحدود أن يكفلها لهم ، وانقلب المنزل بعد ذلك الى ميدان صاخب لمعارك لا تنتهى بينى وبين زوجتى الفاضلة وحماتى العزيزة وأقاربها الساخطين ...

وغدت حياتى بعد ذلك جحيما لا يطاق ، وأخذ كل أفراد عائلة زوجتى الكريمة ينظرون الى كأداة للهو واشباع رغبة العنطزة المتعطشة اليها نفوسهم وأصبحوا يبادرونني بالسباب واللعنات لا لشىء الا للترفيه عن مشاعرهم الغاضبة لأننى خيبت آمالهم وحرمتهم من التمتع بمرتبى ، وكانت الأوامر الصارمة تنهال على من كل الأفواه ، كل منهم يرسم لى كيفية معيشتى ويتحكم فى تصرفاتى بالوجه الذى يرضيه ، الأمر الذى جعلنى فى حيرة دائمة وتفكير مستمر للبحث عن طريقة أستطيع بها أن أوفق بين كل هذه الأوامر المتعارضة فى وقت واحد ...

وأخذ الاضطهاد الذى أتعرض له يزداد يوما بعد يوم ، وابتدأ الجميع يجدون لذة كبيرة فى تعذيبى ويتفننون فى ابتكار الوسائل التى تجعلنى هدفا

لضحكهم وسخريتهم، حتى أطفال العائلة لم يجدوا بأسا فى المشاركة فى هذا المهرجان وصاروا يتخذون منى هدفا لنباهم، حتى غدت حياتى مثل كابوس مخيف يربض على صدرى طول الوقت وتمنيت الافلات من هذا المنزل الجهنمى بأى ثمن ...

ولكن أين المهرب .. وقد سدت أمامى جميع المنافذ ؟ ولست أملك شيئا أستطيع الاعتماد عليه فى تغطية نفقاتى بعد أن استقلت من عملى وبعت كل أثاث مسكنى القديم قبل أن أنتقل الى منزل الزوجية السعيد، وأصبحت بغير مأوى، بالإضافة الى ما أعانيه من ذلك الروماتزم اللعين الذى ابتدأ هو الآخر ينتهز فرصة ضعفى وأخذ يهرأ أعضائى ويمنعنى من التحرك بسهولة ...

ولما كنت واحدا من أولئك الأشخاص الذين لا يتخذون قراراً هاما الا بعد طول الروية والتفكير، فاننى قد قررت بينى وبين نفسى على ترويضها على احتمال كل هذا العذاب بصبر وبدون تذمر، مع مواصلة البحث سرا فى نفس الوقت عن طريقة أستطيع بها الفكاك من هذا المنزل المرعب ...

وأجهدنى التفكير وأعيانى طول البحث ولكنى لم أيأس وكان يكفينى كلما شعرت بالوهن يدب الى جسدى أو الضعف يتسلل إلى أعضائى أن أرفع عينى لأملأها من وجه زوجتى القبيح لكى اندفع إلى الطرقات أزرعها بحثا عن أى عمل وقد غلت الدماء عروقى ونسيت تماماً آلام الروماتزم وامتلأت بطاقات هائلة من الحمية والنشاط ...

وفى ذات مساء وكان ذلك فى أول أيام عيد الفطر الماضى، وأنا جالس بمفردى فى المنزل أنعم بوحدتى، اذ كان جميع أفراد العائلة قد ذهبوا منذ

الصباح الباكر لتمضية أيام العيد فى مقابر العائلة الكائنة فى أرض الخضير بالعباسية لتوزيع الصدقات على أرواح موتاهم الطاهرة واستذكار ماقد يكونون قد نسوه من سيئاتهم وشرورهم ..

فى هذا المساء هبطت على فيما يشبه الوحى فكرة هائلة فتحت أمامى أبواب الأمل على مصراعيها ووجدت فيها طريقا سهلا للخلاص من هذا الجحيم ، وعجبت كيف لم أفطن إلى مثل هذه الفكرة الرائعة من قبل ..

كان ذلك وأنا جالس منهمك فى قراءة العدد الأخير من « روايات الصاروخ » الشهيرة الذى كنت قد استعرته فى اليوم السابق من الأسطى عبد الحميد حلاق الحى الصحى ، عندما وجدت بين صفحات العدد إعلان عن مسابقة قصصية تقيمها « دار الصاروخ » للقراء وحددت فيها للقصة الفائزة جائزة مالية تسيل اللعاب مكونة من ثلاثة أرقام ...

وبعد أن فرغت من قراءة القصة ، طويتها وأمسكتها فى يدى وأخذت أعبث بها بين اصابعى وأنا شارد الفكر وكلمات المسابقة تحتل ذهنى طيلة الوقت ...

وفجأة تفتق ذهنى عن هذه الفكرة الرائعة وقلت ... ماذا لو اشتركت فى هذه المسابقة القصصية وأنا صاحب خيال واسع وعندى كل المؤهلات التى تجعل منى كاتبا عظيما ؟

ولم اتردد فى تنفيذ هذه الفكرة واخراجها إلى حيز الوجود ، فنهضت من مكانى وذهبت أحجل فى إرجاء المنزل بحثا عن قلم وورق حتى عثرت على بغيتى فرجعت إلى حجرتى ووضعت الجميع أمامى على المنضدة الصغيرة وجلست لأكتب ، ولكن عندما أمسكت بالقلم جابهتنى مشكلة لم أحسب لها حسابا من قبل ، وتساءلت ماذا أكتب ؟

وظللت جامدا فى مكانى مدة طويلة وقد سرح بى الخيـــال ورأيت نفسى أفوز بالجائزة الأولى وأسارع إلى افتتاح محل تجارى يدر علىّ من الأرباح مايكفى لسداد نفقات معيشتى ويجعلنى غير مضطر إلى العيش مع زوجتى وأقاربها الأبالسة كما رأيت أيضا صورتى وهى تنشر فى جميـــع الصحف والمجلات و ...

وألهبتنى فكرة الفوز بالجائزة الأولى وتطليق زوجتى إلى الأبد والجلاء عن هذا المنزل الكريه، فأخذت أفتح ذهنى بحثا عن فكره تصلح لان تكون موضوعا لقصة جميلة ، وظللت زمنا طويلا أحدق فى سقف الحجرة بنظرات متفلسفة كما يفعل الكتاب العظام ، وانتظرت فى صبر حتى هبط على الالهام فى آخر الأمر فأمسكت بالقلم واتحنيت لأكتب ...

ومرت ساعات طويلة وأنا عاكف على الورق والهدوء يسود المكان من حولى ولا يسمع غير صوت صرير قلمى وهو يجرى فى سرعة على الورق وعندما انتهيت أخيرا من الكتابة القيت بالقلم من يدى فى ارتياح واضجعت على مقعدى وأمسكت بالأوراق المحتوية على القصة التى كتبتها وأخذت فى قراءتها ...

كانت حوادث القصة التى كتبتها تدور حول صراع الأزواج والحموات وقد ساعدتنى ظروف معيشتى على سهوله كتابتها وإخراجها فى إطار مثير، وقد رأيت امعانا فى حبكة القصة أن أزودها ببعض الابيات الشعرية والحكم المشهورة وبعض الأمثال العامية والأفرنجيـــة وبعض الطرائف الجنسية المثيرة، ولم أنس أن أسوق على لسان بطل القصة بعض الجمـــل الحماسية كالتى تعودان يستعملها الساسة القدماء والتى يمكن ان تنتزع التصفيق من الأيادى وصيحات الإعجاب من الحناجر، كما رأيت أيضا زيادة فى السخاء

أن أطعم سطور القصة ببعض الكلمات والعبارات الفصيحة والجمل المنتقاة مثل أن البطل بعد أن اشترى « القميق » وضعه فى « القاووق » ، وغير ذلك من الكلمات التى هى درة البيان ودليل فصاحة اللسان ، وزحتها على سطور القصة اعتباطا وكيفما اتفق لازيد من بلاغتها وروعة أسلوبها ..

اما معنى هذه الكلمات ، ومن يكون هذا القميق ، وذاك القاووق ، فهذا كان آخر شىء كنت أعرفه ، وانما هى مجرد كلمات كانت قد علقت فى ذهنى من كتاب قديم كنت قد قرأته منذ سنوات اسمه « المسامير فى علم الصراصير » تأليف كاتب فطحل ، وأشك فى أن مؤلف هذا الكتاب نفسه يعرف معناها ، وأغلب ظنى انه كان قد اقتبسها من كتاب لمؤلف اقدم منه ا ...

وقد حرصت على حشو سطور قصتى بهذه الكلمات لحكمة عميقة ، لأننى أعرف بثاقب فكرى وصدق فراستى أن القارىء يحاول دائما ان يغطى جهله بمعنى هذه الكلمات بالاعراب عن اعجابه بجمال القصة وروعة اسلوبها رغم انه لم يفهم منها حرفا واحدا .. وانا لازلت اذكر حتى هذه اللحظة ذلك الاحساس بضآلتى وتفاهة ثقافتى الذى كان يزداد فى نفسى كلما استطردت فى قراءة كتاب « المسامير فى علم الصراصير » وكيف خيل لى أن كاتب هذا الكتاب القيم لايرمى من وراء كتابه الى شىء بقدر مايريد ان يشعر القارىء بتفاهة شأنه وحقارته بالنسبة اليه ، وقد نجح فى ذلك أيما نجاح ، لأننى بعد ان فرغت من قراءة هذا الكتاب وطويته ، أخذت أتأمله مدة طويلة وأنا مبهور الأنفاس وقد فاضت نفسى إعجابا من عبقرية مؤلفه ... رغم إننى لم أكن قد فهمت منه كلمة واحدة ...

وبعد أن فرغت من قراءة القصة التى كتبتها وضعتها أمامى على المنضدة

فى حرص وأخذت أفرقع أصابعى فى كسل وقد غمرنى السرور وعلت شفتى ابتسامة انتصار وأنا أتأمل بفخر الأوراق المحنوية على عصارة ذهنى ونتاج عبقريتى ، ولم يخالجنى أى شك فى الفوز بالجائزة الأولى إذ كنت أعرف ان .. الكلام الفارغ شديد الرواج فى هذه الأيام ..

وأفقت من افكارى على أصوات صفير حاد ترتفع من شتى الاتجاهات من حولى، فارسلت بصرى عبر النافذة ورأيت ناظر محطة الترام يقف على الرصيف وفى فمه صفارة ضخمة ينفخ فيها باستمرار ومن حوله عدد كبير من الكمسارية يتبارون فى هذا العمل حتى امتلأ الجو بأصوات صفيرهم المزعج ، وبعد لحظة فهمت السر فى كل هذا الصفير عندما تحركت بى عربة الترام التى كانت قد إمتلات لآخرها بالركاب والروائح النتنه ولم يبق فيها موضعا لقدم . . .

كنت فى هذه اللحظة فى طريق الى « دار الصاروخ » لاسلم قصتى الى صاحب الدار يدا بيد خوفا من ضياعها فى البريد ، ولأمتع نفسى بنظرات الاعجاب والحسد التى سوف يتأملنى بها ولا شك موظفى الدار عندما تقع اعينهم على سطور قصتى الفريدة فى نوعها ، كما انى رأيت أن هذه هى أحسن المناسبات التى أستطيع فيها أن أحقق حلما قديما لى بزيارة هذه الدار العظيمة ...

وعندما وصلت إلى « دار الصاروخ » وقفت لحظة على مبعدة أحدق فى رهبة فى المبنى الشامخ المنتصب أمامى فى كبرياء ، ثم استجمعت شجاعتى وتقدمت من البواب وسألته باحترام عن صاحب « روايات الصاروخ » فتطلع إلى هذا باحتقار وأشار إلى سلم حديدى ضيق فى خلف المبنى الكبير ولم يتفوه بكلمة واحدة ، وعندما وجدنى لم أتحرك من مكانى اتى بحركة كانه يهم بركلى بحذائه فسارعت فى الابتعاد عنه واتجهت صوب

السلم الحديدى الدائر وأخذت ارتقيه فى صعوبة وأنا احنى رأسى حتى لا يصطدم بالعارضات الحديدية المنخفضة التى تكون درجاته العلوية وظللت أدور مع درجات السلم وأنا الهث بشدة حتى كدت أسقط من الأعياء ...

وأخيرا وصلت الى نهاية السلم ، فوقفت لحظة لاستجمع قواى وأسترد أنفاسى المتلاحقة وقد تصبب جسدى عرقا، وأدرت بصرى فيما حولى فوجدت اننى قد وصلت فى صعودى إلى سطح المبنى فكدت أهم بالنزول راجعا من حيث اتيت وأنا اعتقد أننى قد اخطأت الطريق، لولا أن لفت نظرى لافته خشبيه محطمة معلقة فوق احدى الحجرات فى آخر السطح مكتوب عليها بحروف باهتة « دار الصاروخ » فاستجمعت شجاعتى واصلحت من هندامى واتجهت نحو الحجرة المعلق فوقها اللافتة وأنا أعجب فى سرى من عبقريه صاحب « دار الصاروخ » الذى اختار مثل هذا المكان البعيد عن الأعين المتطفله مقرا لنشاطه حرصا على أسرار المهنة ..

وتقدمت من الباب المفتوح فى قلب واجف وأرسلت نظرة مختلسه إلى داخل الحجرة فلم الح فيها أحدا ، ووقع بصرى على كومات هائلة من المجلات والصحف القديمة يكسوها التراب مبعثرة فى كل مكان فى الحجرة بغير انتظام ...

ووقفت حائرا فى مكانى لا أدرى ماذا أفعل ، وعندما أوشكت أن استدير راجعا لمحت شماعة صغيرة للملابس معلقة على كومة مرتفعة من المجلات والصحف تدلت منها بذلة كاملة مقطاة بقميص متسخ لمحت إلى جوارها بابا صغيرا يفضى إلى حجرة داخليه لم اقطن اليها من قبل ، فتشجعت وهتفت فى صوت عال استمددت عجرفته من قذارة المكان ...

ـــ الا يوجد أحد هنا ؟

وسمعت على التو حركة سريعة تنبعث من الداخل ، ورأيت يدا ضخمة مكسوة بشعر غزير تمتد فى اضطراب وتتناول شماعة الملابس ، ثم وصل الى سمعى صوت رفيع أشبه بأصوات النساء يقول من الداخل ..

ـــ ماذا تريد ؟

ـــ أريد مقابلة صاحب « دار الصاروخ »

ـــ أنا صاحب الدار .. أرجوك الانتظار دقيقة واحدة ...

ووقفت فى مكانى انصت الى حركات الرجل السريعة وهو يرتدى ملابسه فى الحجرة الداخلية وقد استولت على حيرة ودهشة شديدة لما ارى ... و ...

وفجأة استدرت فى مكانى وأخذت أعدو فى سرعة كبيرة صوب الدرج الحديدى وأهبط درجاته قفزا وأنا أعض على شفتى فى حنق وغيظ عندما تذكرت اننى فى غمرة أفكارى .. قد نسيت المظروف المحتوى على القصة فى عربة الترام ..

سوف تضحك فى كل سطر . . .

وتبكى فى السطر الذى يليـــه . . .

وتنسى نفسك وأنت تقرأ . . .

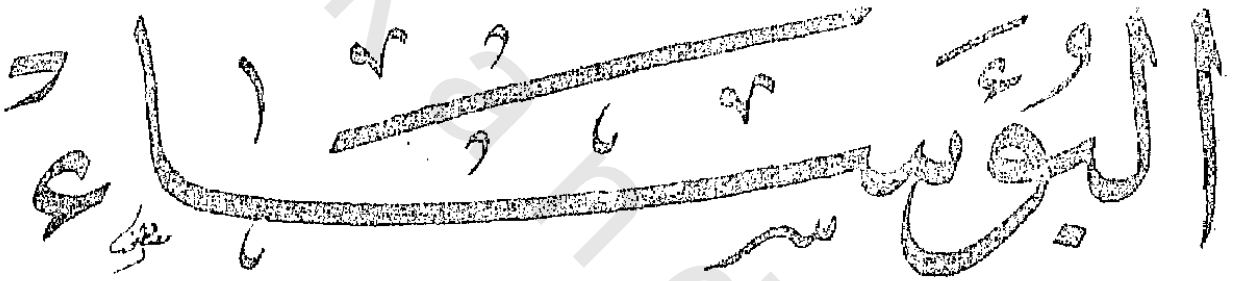

مجهود خمســـة أعوام كاملة من العمل المتواصل

بقلم الأســـتاذ

مصطفى كمال حمدى

obeikandl.com

... أمهلهم رويدا ..

وأطل أحد الفلاسفة من نافذة حجرته ... وإبتسم فى سخرية وهو يرقب طوابير جنود الإنجليز وهى تتدفق بكثرة إلى الشوارع ، ثم هز رأسه مشفقاً وقال محدثاً نفسه ...

— يالهم من حمقى ... إنهم يظنون أنهم قادرون بالحديد والنار على خنق ينابيع الحرية التى تفجرت فى القلوب ، ولكنهم ... ولا شك ... سيعرفون مقدار خطئهم عندما تتفجر عما قريب السيول المختزنة فى الصدور وتكتسح فى طريقها كل شىء ....

تطل الشمس من عليائها بكبرياء على العالم منذ ملايين السنين وهى ثابته فى مكانها تاركة الأرض تدور من تحتها دوراتها اللانهائية لتسمح لكل جزء منها بأخذ نصيبه من أشعتها الدافئة .

وفى أبراج الشمس الملتهبة انكب عدد هائل من الكتبة على سجلات ضخمة وإنحنوا وفى ايديهم اقلام طويله يدونون الأحداث التى تجرى من تحتهم ، وكانت هذه الأبراج تختلف فى الضخامة والارتفاع تبعا للجزء المكلفة بمراقبته من سطح الأرض ، وكان عدد الكتبه المنوط بهم تدوين الحوادث فى كل جزء منها يزداد ويقل وفقا للاحداث الهامه التى تجرى على سطحه ..

وفى مكان بارز من الشمس ارتفع البرج المخصص لأراضى الفراعنه ، ضخما هائل الاتساع تلوح عليه آثار القدم ويطل من جنباته عدد السنين الطويله التى أمضاها قائما فى مكانه يشمخ بأبراجه المرتفعة على الأبراج الأخرى المخصصة لباقى اجزاء الأرض المختلفة ، وملحق بهذا البرج مخزن واسع الأرجاء يكاد الأنسان يفقد طريقة خلال طرقاته الطويلة وردهاته الواسعة ، وفى كل مكان منه تكدست ملايين من السجلات الضخمة وقد علاها التراب ونسج العنكبوت عليها خيوطا كثيفة من النسيان ...

وكان المراقبون عادة يجدون عناء شديدا كلما ارادوا استذكار تاريخ هذه البلاد الحافل ، وحصر عدد الأحداث الدموية الهامة التى أثرت فى مجرى تاريخها الطويل ، ويقدرون انهم فى حاجة الى عشرات الاعوام قبل أن ينتهوا

من تصفح كل هذا العدد الهائل من السجلات التاريخية، وعرف كتبة التاريخ حيرة المراجعين وصعوبة المهمة الملقاة على عاتقهم فاتفقوا فيما بينهم على تسهيل مهمتهم، وصاروا يدونون الأحداث الهامة بحبر أحمر له بريق خاص يميز السجلات المدونة فيها أهم هذه الأحداث عن غيرها ...

ويخطف بصر الداخل إلى هذا الأرشيف التاريخي الهائل عشرات الآلاف من الأضواء التي تشع من كل مكان، ويلفت نظره بنوع خاص سجل ضخم ترسل صفحاته بريقا بلون الدماء يكاد يعمى الأبصار ، فيجد نفسه ينجذب اليه رغما عنه ولا يملك غير أن يمضي ويتناوله ويضعه فوق إحدى المناضد الطويلة المخصصة للمطالعة ، وعندما يبتدىء في تقليب أول صفحاته تطالعه هذه الكلمات مكتوبة بحروف غليظة قاتمة اللون ...

الخميس ٣ أبريل سنة ١٩١٩ .

ولا يكاد المرء يفرغ من قراءة هذه الكلمات حتى يجد أنظاره تنسلل بدون أن يشعر إلى بيان الأحداث الدموية التي سجلها كتبة التاريخ في ذلك اليوم فيعتدل في جلسته ويبتدىء في القراءة ...

أشرقت الشمس صباح هذا اليوم وجلس كتبة التاريخ في أماكنهم وهم يتوقعون أحداثا هائلة وأمسكوا بأقلامهم في انتباه حتى لا يفوتهم أي شيء ...

كانت الأرض تغلي من تحتهم ، والجماهير الثائرة تهرول من كل صوب وتتدفق في جموع حاشدة صوب ميدان عابدين وهتافاتها تشق عنان السماء ...

ومن كل مكان ارتفعت الأصوات صاخبة لاعنة مطالبة بالغاء الحماية والإفراج عن الزعماء المعتقلين، ومن كل صدر تفجرت نيران

الغيظ المختزنة على طول السنين وجرفت الجميع فى طريقها فاندفعوا إلى الطرقات كالوحوش الهائجة...

وأقفلت المدارس فى جميع أنحـــاء البلاد وخيم الهدوء على دواوين الحكومة بعد أن خلت من موظفيها ، وانتهزت الجرذان الضخمة هذه الفرصة وخرجت من جحورها وأخذت تقفز بين المكاتب فى مرح واطمئنان وتقضم اطراف أكوام الأوراق الضخمة المرصوصة فوق مكاتب الموظفين فى تلذذ كبير ...

وساد الهدوء حى باب الشعرية وتحت الربع والمغربلين وشبرا ومصر القديمة ، وفى جميع أطراف القاهرة ، وخلت جميعها من الرجال بعد أن هجر كل فرد عمـــله وانضم إلى ذلك السيل البشرى المتدفق إلى ميدان عابدين ...

وفى حجـــرة فخمة فى ثكنات قصر النيل أخذ فخامة السردادمند ا . هـ . هـ . النبى نائب جلالة الملك . . ؟ الخاص فى مصر والسودان والذى فى يديه السلطة المطلقة فى جميع الأمور العسكرية والملكية والمندوب السامى فوق العادة و ... و ... يذرع الحجرة الواسعة جيئة وذهابا فى خطوات قلقة ثم وقف وتحول إلى عدد كبير من الضباط كانوا جالسين يراقبونه فى برود وصاح بهم

ـ لابد من معالجة الأمر بشدة وحزم حتى لايعـود هؤلاء الرعاع إلى مثل هذا الشغب مرة أخرى .

وهز الضباط رؤوسهم مؤمنين ...

وفى الجنـاح المقابل لحجرة فخامة الجنرال جلس المعلم أبو الدهب

أمام سعادة «الكابتن بلاك» وهو يفتل شاربه الغليظ وعيناه تلمعان فى جشع يدا الكابتن وهما تعبثان بحزمة كبيرة من الأوراق المالية . . ولم يطق المعلم أبو الدهب صبراً ومد يده وإختطف الحزمة من يد الكابتن الذى ابتسم له فى رقة وقال .

ـ يجب أن تستأجر أكبر عدد من المشاغبين وتوزعهم على كل حى ، حتى يتم تحطيم أكبر عدد ممكن من المحلات العامة .

وانفرجت شفتا المعلم أبو الدهب الغليظتان ولمع بريق أسنانه الذهبية وقال وهو يوزع الأوراق المالية على جيوبه الواسعة

ـ كن مطمئناً يافخامة الكابتن . . فأنت تعرف أن هذه ليست أول مرة أقوم لكم فيها بمثل هذا العمل ...

وتهالك «الكابتن بلاك» على مقعده المريح بعدان غادر المعلم أبو الدهب الحجرة وأغلق الباب وراءه، وقد اختفت عن وجهه البشاشة واللطف التى كانت تملأه قبل أن يخرج هذا الأخير وعلته القسوة الممزوجة بالاحتقار ...

ونهض «السرجنت ماجور فوكس» عندما لمح المعلم أبو الدهب يغادر حجرة «الكابتن بلاك» من مقعده وتقدم اليه وعلى شفتيه ابتسامة عريضة فمد هذا يده إلى جيبه ودس فى يد «السرجنت ماجور» عمولته المعتادة ...

وفى الجانب الشمالى من ثكنات قصر النيل جلس «الكوبرال جارفس» على فراشه المنخفض وهو يعبث فى يده بخطاب وصله اليوم من زوجته ترف إليه فيه بشرى وضعها مولودا جميلا رغم أنه لم يرها منذ عام ونصف وتطلب رأيه بخصوص تسمية الطفل . . . وأخذ يهرش فى رأسه

فى حيرة وهو يفكر بعمق فى هذه المشكلة ويفتش فى ذهنه بحثا عن ... اسم مناسب للطفل ...

وفى عابدين كان الميدان قد غص على سعته بالبشر وسدت جميع الطرقات المؤدية إليه بجموع حاشـــدة من مختلف الطبقات وامتلأ الجو فوقها بهدير مخيف يخيل إلى الناظر إليهم كأنه فى يوم الحشر.

وظهر فى هذه اللحظة أحد الانجليز مرتديا ملابساً مدنية ومتطياً صهوة جواد عربى أصيل ، كان ينقل حوافره بين الجموع الكثيفة المتراصة فى الميدان فى كبرياء بينما انتصب صاحبه فوق ظهره يتطلع إلى الجموع الملتفة به فى غطرسة وكبرياء ...

ودوت رصاصة من مكان قريب سقط على أثرها الانجليزى من فوق حصانه واختفى تحت الأقدام الهائجة ...

وفى الوجـــه القبلى كانت ستة عشر فصيلة من الجنود المدربين على أسرع أنواع القتل والتخريب تعمل بهمة وبراعة لإخماد الثورات التى اندلعت فى كل مكان ...

وفى جنوب القـــاهرة أخذ جماعة من العمال الحفاة الأقدام العراة الأجساد يعملون تحت أشعة الشمس المحرقة وقد تصببت أجسادهم عرقا لإصلاح خطوط السكك الحديدية التى نسفها الثائرون ، وسياط المراقبين لا تكف عن الصراخ فى الهواء مداعبة أجسادهم النحيلة ...

وفى قرية شوبلت النظاره الغربى قبض على العمدة لأن النار أطلقت على الجنود الانجليز من منزله ثم فتشت بعد ذلك جميع منـازل القـرية وأشعلت فيها النيران وسيق الرجال والنساء تحت فرقعة السياط فى طوابير

طويلة أخذت تقصر بالتدريج فى أثناء الطريق ...

وفى أسيوط كانت الثورة قد بلغت أقصاها ولكن «البريجادير جنرال هدلستون» استطاع ببراعته الفائقة إعادة النظام إلى أرجائها ، وبذل فى ذلك جهوداً جبارة ، ورغم الإرهاق الذى أصابه من هذا المجهود الضخم فانه لم يسمح لنفسه بالراحة بل أصدر فورا أمرا لجنوده بنصب المشانق فى كل مكان ، ووقف يراقبهم وهو يغلى من الغيـــظ ويلعن ادارة الإمدادات والتموين الانجليزية لأنها لم تزوده بعدد كاف من المشانق واستدعى اليه سكرتيره الخاص وأملى عليه خطابا شديد اللهجة موجها إلى القيادة العامة فى القاهرة طالبا منها اتخاذ الإجراءات السريعة والعمل على سد هذا النقص المخزى فى معداته بأسرع وقت ، وبعد أن فرغ من الخطاب أستدعى اليه أحد الجواسيس المصريين وأوصاه أن يسرع به فى الحال إلى القاهرة .

وفى حارة القرشى بالسيدة زينب أمسك الأسطى أبو شنب صاحب صالون الخدماتى برأس إبراهيم أفندى خليل الموظف فى وزارة الحقانية ، يداعبها بأصابعه .. وهو يقص على أصدقائه المتراصين فرق المقاعد المحطمة التى تزحم الصالون الضيق أخبار الجيران وأخر فضائح ابنة المعلم احمد بائع الفسيخ ، وقبـــل أن يسترسل فى حديثه الطلى اندفع إلى الصالون زكى أفندى الموظف بالداخليـة والقى اليهم بالأنباء المثيرة فى انفعال ، وقبل أن يكمـل كلامه كان الجميع قد غادروا الصالون وأطلقوا سيقانهم للريح فى اتجاه قصر عابدين ، تاركين ابراهيم افندى جالساً بمفرده فى الصالون يتأمل باعجاب صلعته اللامعة فى المرآة ...

وفى العباسية كان عبد الله افندى الحلو الموظف بالمساحة خارجا من

أحد الأبواب الجانبية فى ثكنات الجيش الانجليزى وهو يتحسس رزمة كبيرة من الأوراق المالية داخل جيب سترته والتى أخذها منذ لحظات من سعادة « الماجور ستيورات » مكافأة له على تفانيه فى خدمة قوات صاحبة الجلالة وذلك بعد أن تم القبض على أفراد إحدى الجمعيات الوطنية ...

وكان عبد الله افندى الحلو فى هذه اللحظة وهو يسير فى الطريق بخطوات خفيفة عائدا إلى مسكنه غارقا فى أحلامه السعيدة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هانئة بعد أن زالت متاعبه وأصبح يملك باقى ثمن ذلك المنزل الذى ينوى شراءه ، وأحس بشبابه يعود إليه وهو يرى بعين الخيال ابنه نصيف يعيش فى راحة ورخاء من إيجار المنزل المنتظر ... وفجأة عبس بوجهه عندما أخذ يؤنب نفسه على بلادته وعدم قدرته على اكتشاف مزيد من الجمعيات الوطنية ليضاعف بهذه المعرفة ثراءه ...

وعلى بعد قليل من العباسية وفى حجرة ضيقة بالمحمدى كان المعلم أبو الفتوح الجزار بالمدبح يجلس مع شلته المختارة يجذب أنفاس جوزة معمرة بالحشيش فى انسجام كبير ويدور بها على زملائه فى سخاء ... عندما دخل عليهم الحاج أبو طاقيه صاحب الغرزة ونقل اليهم أنباء الثورة المشتعلة فى كل مكان ، فاسرع الجميع بالخروج من الغرفة الضيقة وتدفقوا إلى الشارع ، وتبعهم المعلم أبو الفتوح بعد أن تناول ساطورا ضخما ، وأخذ وهو يجرى وراءهم يقسم فى أنفاس متقطعة بأنه سوف يسلخ جلد كل من يقابله من الجنود الانجليز ...

وفى الزمالك كان سوسو بك يجلس مع أصدقائه حول مائدة أنيقة يكملون برتيتة البوكر التى ابتدأت فى مساء اليوم السابق عندما دخل أحد الخدم والقى اليهم بالأنباء المثيرة ، فسارع الجميع بالقاء أوراق اللعب من

أيديهم وتركوا المائدة وأسرعوا إلى الخارج تاركين الخادم يحدق فى شره فى أكوام النقود المبعثرة على المنضدة ، وبعد فترة تردد قصيرة مد الخادم يده وجمع النقود ووضعها فى حزام حول بطنه ثم أسرع إلى المطبخ ، وبعد أن تناول هراوة ضخمة أسرع خلف سوسو بك ...

وتوقف عبد الباقى الكناس عن عمله عندما رأى هذا الجمع الأرستقراطى يندفع نحو كوبرى أبى العلاء فى طريقه إلى ميدان عابدين ، وعندما تمكن من إيقاف أحدهم وعرف منه الأنباء شرع مكنسته فى يده وأخذ يعدو خلفهم وهو يهتف فى حماس ، وعندما وصل الجميع إلى الكوبرى اضطروا إلى الإقلال من سرعتهم وانحشروا وسط الجموع الحاشدة التى كانت تعبر الكوبرى فى تلك اللحظة فى طريقها إلى عابدين وبعد دقائق كان الهدوء يخيم على حى الزمالك مرة أخرى ...

وفى شارع بولاق كان الدكتور لمعى يعتنى بأخذ مرضاه فى عيادته عندما وصل إلى سمعه هدير أصوات الثائرين الزاحفة فأسرع إلى النافذة وصاح فى تمرجيه محجوب عبد القادر يأمره بالذهاب واستطلاع الأخبار .. وسرعان ما كان الدكتور لمعى والتمرجى محجوب عبد القادر يعدوان خلف المتظاهرين ...

وفى حى المتيرة جلس عبد الرسول بك على مقعد ضيق يداعب ابنه الصغير المتربع على ركبتيه ويحاول بشتى الحيل أن يجعله يكف عن الصراخ بينما ربض ابنه الثانى تحت أقدامه يداعبه بآلة حادة فى يده ...

وكان عبد الرسول بك فى تلك اللحظة يتململ فى مقعده فى ضيق وهو يصم آذانه عن سماع سباب زوجته المتواصل الذى كان يتدفق من فمها بدون سبب ، ويلعن فى أعماقه هؤلاء الموظفين الذين تسببوا فى حرمانه من التمتع

بمقعده الوثير فى الديوان، وقد تعطشت نفسه إلى رؤية السعاة وهم يقفزون احتراما من فوق مقاعدهم كلما أهل عليهم بطلعته .. ولم يملك غير أن يتنهد فى أسف عندما أخذ يقارن بين سباب زوجته المتواصل وصراخ أطفاله الثاقب وبين كلمة حضرة الريس السحرية التى تعود ان يقابله بها كل موظف فى الديوان ...

وفى المقاهى انعقدت الندوات المعتاده وأخذ الجميع يتبادلون التعليقات السياسية وكل فرد منهم يحاول أن يبز زملائه بمعلوماته الواسعة ويتكلم بلهجة الخبـــير العارف ببواطن الأمور ، ولكن سرعان ما ابتدأ الملل يتسلل اليهم من التحدث فى السياسة وتحولوا بحديثهم إلى المواضيع المحببة إلى نفوسهم وأخذوا يتبادلون آخر انباء الفضائح ويتسقطون أخبار الزملاء والمعارف بلذة وشغف ولكنهم لم يتمتعوا طويلا بحديثهم الطلى لأن أخبار الثورة كانت تسرى إلى كل مكان وتنتشر فيه بسرعة النار فى الهشيم، وسرعان ما أفقرت المقاهى من روادها .

وفى كل مكان سار طلبة المدارس وقد تقدم كل مجموعة منهم شخصان أمسك كل منهم بعصاة طويلة يربط بينهما قطعة من القماش خطت عليها كلمات مختلفـــة كانت جميعها تعبر عن شعورهم وتنادى بسخطهم على الاستعمار وتشارك الجميع فى كراهيتهم للانجليز والاحتلال الانجليزى

وفى شارع ابراهيم باشا سارت موكبة من النساء يرتدين أزياء سوداء محتشمة ، وقد تقدمتها فتاتان جريئتان تحملان علماً كبيراً لايختلف عن ذلك الذى يحمله طلبة المدارس ، واستمرت الفتاتان تتقدمان بعلمهما فى ثبات وجرأة نادة ، وموكبة النساء من خلفهما رغم بنادق الانجليز المصوبة إلى صدورهم ..

وفى شكنات قصر النيل كانت أسلحة الجنود المصطفين فى طوابير طويلة تلمع تحت أشعة الشمس وهم واقفين يتلقون أوامرهم من «الكابتن بلاك» ، بينما كان «الكوبرال جارفس» لايزال جالساً على حافة فراشه يستعرض فى ذهنه أسماء زملائه ومعارفه علّه يعثر بينها على إسم جميل لطفل زوجته ، وأنقذه من حيرته دخول «السرجنت ماجور فوكس» إلى العنبر الذى صرخ فى الجميع بالاستعداد للقتال ، فقفز «جارفس» من على فراشه وأخذ يرتدى ملابس الميدان وقد نسى كل شىء عن زوجته ...

وفى ميدان عابدين كان الهياج قد بلغ أقصاه عندما أخذ الرصاص ينطلق من كل اتجاه ، ولمح الثوار بعض عربات الانجليز قادمة من بعيد وهى تنفث من أفواهها نيراناً حامية ، فاندفعوا صوبها وسرعان ماتوقفت العربات عن اطلاق النيران بعدما أطبقت عليها الكتل البشرية الهائلة المتجمعة فى الميدان ...

وبرزت من وراء النوافذ المطلة على ميدان عابدين مقدمة بنادق قديمة يطل الموت من فوهاتها السوداء وقد انتصب وراء كل منها أحد الثوار الذين كانوا يطلقون الرصاص كلما ظهر أمامهم أحد الانجليز ، وشاهدوا وهم فى مخابئهم بعض الجنود يحملون الانجليزى الذى سقط من فوق جواده منذ لحظات بعد أن أصابته رصاصة من مجهول ، وهمس أحدهم فى انفعال

— انهم يقولون انه مساعد الحكمدار

وصاح صوت آخر من داخل الحجرة

— كلا ... انه رئيس تفتيش التذاكر بالسكة الحديد

فقال صوت من بعيد وهو يبصق على الأرض ويزوم فى وحشية

— فليذهب إلى الجحيم سواء كان هذا أو ذاك ..

وفى الخارج كان الناس يتساءلون أين ذهب حضرة صاحب العظمة

السلطانية ، واندس وسط الجماهير أحد الأشخاص وقال بلهجة الواثق

ـــ أنه ذهب ليعتكف فى قصر البستان من صداع خفيف ألم بعظمته . . . ! !

وظهرت فى هذه اللحظة طوابير من الجنود الانجليز الشاكية السلاح وهى تتقدم من كل اتجاه نحو ميدان عابدين ، وارتفعت أصوات الثوار فى طنين هائل عند رؤيتها وهجموا عليهم بصدورهم العارية ...

وفى هذا الوقت كان المعلم أبو شنب صاحب صالون الحداءة ومن خلفه شلته يحاولون اقتحام سياج الجنود الانجليز لينفذوا الى ميدان عابدين ولكن الطرقات كانت قد اقفلت جميعها من شارع القصر العينى إلى شارع الشيخ ريحان ، والداخليـــة ، والانشاء ، ووزارة الأوقاف ، وسوق الخضار وباب اللوق ، ولكن المعلم أبو شنب لم ييأس وأشار إلى شلته لكى تتبعه ثم أخذ يعدو وهم وراءه واخترقوا شارع المبتديان إلى السيدة زينب ثم تسللوا من طريق خلفى إلى حارة السقايين ومنه إلى ميدان عابدين ، وبدون أدنى تردد ألقوا بأنفسهم الى جوف المعركة ...

وفى الجيزة وقف الأستاذ سعد الدين أبو العينين المحامى فوق مقعد مرتفع وأخذ يخطب فى الجموع المحتشدة حوله بصوت جهورى حافل بالسخط مناديا بالثورة داعيا الى القتال بينما ترك كل شخص عمله ليستمع إلى كلماته النارية ، وعلى مبعدة قليلة من الجمع المحتشد وقف القروى متولى أبو الحج حسنين يستمع الى الخطيب وهو يهز رأسه دلالة على الفهم كلما استطرد الأستاذ فى كلامه ويده لا تكف عن الهرش فى انحاء جســـده المغطى بالأوساخ وقد بدأ على وجهه تقطيبة كبيرة كأنه يفكر فى لغز عويص الحل ثم التفت إلى أحد الأفندية بجواره وسأله بسذاجة

— مامعنى الاستقلال ؟

وقال الأفندى مجيبا بدون أن يلتفت اليه

— ان الإستقلال هو الحرية . . .

فلمعت عينا القروى فى إهتمام وسأل فى بساطة

— ومامعنى الحرية ؟

فتطلع اليه الأفندى شذرا وقلب شفتيه ولم يعن بالرد عليه ...

وفى هذه اللحظة كان عبد الله أفندى الحلو يدخل إلى منزله فى حى الفجالة ، وكان وهو يرقى الدرجات المؤديه إلى مسكنه يعجب للهدوء الغير عادى الذى يخيم على المكان ، وعندما فتحت له زوجته الباب ، هم بأن يزجى اليها أنباء الثروة التى هبطت عليه من السماء والتى لم تكلفه غير الهمس فى آذان « الماجور ستيوارت » بأسماء بعض الوطنيين ولكنه توقف عندما لاحظ علامات القلق الظاهرة على وجهها ، وقبل أن ينبس بحرف واحد دفعته زوجته الى الخارج وهى تصرخ به فى انفعال ليذهب ويبحث عن ابنهما نصيف الذى كان قد تسلل من المنزل بدون أن تشعر وذهب لينضم إلى الثوار فى ميدان عابدين ...

وفى روض الفرج كان شكرى أفندى عبد الباقى يزرع الغرفة الخارجية فى منزله جيئة وذهابا فى قلق شديد وقد امتلأ منزله بالنساء وهو يستمع إلى تأوهات زوجته وهى تضع له طفله البكر ، عندما دوت فى الشارع أصوات هتاف يصم الآذان فأطل من النافذة يراقب الجموع الثائرة ثم وجد نفسه يندفع ويهبط الدرجات القليلة إلى الشارع ويجرى وراءهم وقد نسى كل شىء عن زوجته ...

وفى ميدان الخازندار أخذت المومس حميدة كيفو تتمايل فى مشيتها

فى تيه ودلال وترنو بنظراتهـــا الساحرة فى اغراء إلى «السرجنت ستنكى» المكلف بحراسة المرافق العامة فى الميدان حتى اجتذبت أنظاره فأخذ يتابعها بعينيه وهو يلعق شفتيه فى حنين ويقاوم رغباته التى ثارت فى نفسه فجأة ولكنه لم يتمكن من مقاومة هذه الرغبات طويلا فهمس فى أذن « اللانس كوبرال بروس » لكى يحل محله ريثما يعـــود ثم نهض وأخذ يتبع الموسى حتى غاب الإثنان فى درب عبد الخالق القريب ، وبعد دقائق كان المعلم أبو سريع فتوة الحى يخرج من درب عبد الخالق وهو يخفى تحت معطفه الواسع سلاح « السرجنت ستنكى » فى طريقه إلى ميدان عابدين وقد تلوثت ملابسه ببقع كثيرة من الدماء ...

ومن نافذة احدى العمارات الشاهقة فى جاردن سيتى أطل سعادة رمضان بك حلمى وأخذ يراقب الثوار الذين يملأون الطرقات وهو يصم اذانه عن سماع هتافاتهم المدوية ويعض على شفتيه فى حنق وهو يحصى فى ذهنه مقدار الخسائر التى أصابته من وراء هذه الثورة وانقطاع الناس عن أعمالهم وتمنى لو كان معه الآن مدفعا رشاشا يسلطه على هؤلاء الثوار الأوغاد وامتدت نظراته فى أمل ترقب فرقة من الجنود الانجليز قادمة من اتجاه شارع القصر العينى وهو يرجو أن يتمكن الإنجليز من اخماد هذه الثورة قبل شهر يونيه المقبل حتى يتمكن من السفر إلى أوربا كعادته كل عام ...

وفى مكان آخر جلس بضعة أفراد حول مائدة أنيقة وفى رؤوسهم أفكار لا تختلف فى شىء عن تلك التى كانت تملأ رأس سعادة رمضان بك حلمى ، وهم يقبلون الرأى فيما بينهم ويقدحون أذهانهم بحثا من بعض الحيل التى يمكن أن تنطلى على الثوار وتهدىء من حماستهم وتجعلهم يعودون إلى أعمالهم مرة أخرى وينسون كل شىء عن رفع الحماية الانجليزية واطلاق سراح الزعماء ...

وفى هذا الوقت كان «الليفتنانت إسكانك» يطوف على رأس فصيلة من الجنود فى شارع بولاق ، ووقعت أنظاره وهو منتصب فوق صهوة جواده على المعلم أبو الدهب ورجال عصابته وهم يحطمون المتاجر الكبيرة وينهبون محتوياتها فأمر جنوده بمحاصرتهم والقاء القبض عليهم جميعا ...

وحاول المعلم أبو الدهب أن يبتسم فى وجه «الليفتنانت سكانك» ويفهمه بأنهم مكلفون بأداء هذا العمل من «الكابتن بلاك» ولكن «الليفتنانت» لم يستمع إليه وأمر رجاله بإلقائه مع عصابته فى عربة تحمله إلى السجن الحربى واستدار ليركب حصانه ، ولما حاول المعلم أبو الدهب أن يتبعه ركله بحذائه ركلة عنيفة أرسلته يتدحرج ساقطا على الأرض..

ونهض المعلم أبو الدهب من سقطته وأخذ ينظر بذهول إلى فوهات البنادق المصوبة اليه وهو يتطلع حوله بنظرات حائرة ولا يكاد يفهم شيئاً ثم أشرقت عيناه فجأة عندما لمح «السرجنت ماجور فوكس» يسير بجوار فصيلة من الجنود بجوار سور حديقة الأزبكية فصرخ يناديه فى جنون ....فتوقف هذا الأخير لحظة والتفت وراءه ورأى المعلم أبو الدهب يدعوه إليه بحركات من يده ، وكاد المعلم أبو الدهب ينشق غيظاً عندما رأى صديقه يديره ظهره بقلة اكتراث ويتابع سيره . وعجب كيف يتخلى عنه فى مأزقه بعد تلك المدة الطويلة التى عملا هما سوياً . .

وتكوم المعلم أبو الدهب فى العربة التى كانت تحمله ورجاله إلى السجن وهو يراقب فى يأس قليل أمر الجنود الانجليز الذى انحنى عليه واخذ يجرده من محتويات جيوبه ، وعندما فتح فمه ليحتج على الجندى لمعت عينا هذا الأخير ومد يده وجذب أسنان المعلم أبو الدهب الذهبية من فمه...

وفى هذا الوقت كان الأستاذ سعد الدين أبو العينين المحامى قد فرغ من خطبته الملتهبة وابتدأ يدور بأنظاره فى الجمع الثائر الملتف حوله ثم أشار إلى طريق القاهرة وصرخ فى الناس بصوت مدوى يدعوهم إلى التضحية والفداء

ووقف القروى متولى أبو الحجج حسنين يراقب الجموع الثائرة وهى تعدو وراء المحامى فى اتجاه شارع القصر العينى، ثم لمعت عيناه فجأة فى انتصار عندما قبضت أصابعه على قملة كبيرة كانت لا تفتأ عن لدغ كل مكان فى جسمه منذ الصباح وأخرجها من بين طيات ملابسه بحرص شديد ثم سحقها بين أظافره وهو ينتهد فى ارتياح وتشفى، وعندما أخذ يمسح أظافره فى جلبابه القذر ليزيل من عليهم بقايا القملة، وقف برهة يفكر وقد راعته كمية الدماء التى كان هذا الحيوان الصغير قد امتصها من جسده ... وبغتة نفذ الى خلايا عقله المظلم شعاع من النور وعرف لأول مرة معنى كلمة الاحتـــلال والاستقلال والجلاء . . فاندفع يعدو وراء الجموع الثائرة ...

وفى مكان آخر كان عبد الله افندى الحلويشق فى قوة طريقه وسط الجماهير وهـــو يعدو فى كل اتجاه بحثاً عن ولده نصيف حتى أتعبه الجرى والجهد العنيف الذى بذله فارتكن إلى أحد الجدران وأخذ يلهث فى شدة وهو يكاد يسقط من الإعياء ولكنه رغم ذلك، لم يسمح لنفسه بأى راحة وتابع سيره حتى تمكن فى آخر الأمر من أن يعرف من أحد المارة أن تلاميذ المدارس محتشدة فى ميدان لاظوغلى وراء الداخلية فأسرع إلى هناك ..

وفى هذه اللحظة كانت جموع الثائرين القادمة من روض الفرج قد وصلت إلى شارع عبد العزيز وهم يهتفون فى هياج ومن ورائهم شكرى افندى عبد الباقى، الذى كان القلق على زوجته التى تهم بالوضع قد عاد اليه، ولكن الأحداث التى كانت تجرى أمامه اجتذبت انتباهه، فانحنى وتناول حجراً

كبيراً طوحه في الهواء صوب أحد الجنود الانجليز، وعندما أصاب الحجر الهدف صفق في حماس ونسي زوجته ...

وفي الناحية الأخرى كانت المجموع القادمة من الجيزة بقيادة الأستاذ سعد الدين أبو العنين المحامي قد وصلت إلى شارع القصر العيني واصطدمت بفرقة من الجنود الانجليز كانوا قد تحصنوا فوق سطح أحد المنازل وأخذوا يطلقون الرصاص باستمرار ليرغموا الثوار على الرجوع إلى الخلف، ووقف الجميع يتشاورون في الكيفية التي يستطيعون بها تطويق هذه الفرقة من الجنود والاستيلاء على أسلحتهم ...

وفي هذا الوقت كان عبد الله افندي الحلو قد وصل وهو منتفش الشعر ممزق الملابس ويكاد يسقط اعياء إلى ميدان لاظوغلي وأخذ يدور في أرجائه يبحث بعيون زائغة بين الجماهير المحتشدة عن ابنه نصيف وتطوع بعض الطلبة المزدحمين في الميدان لمساعدته بعد أن أشفقوا على حالته ..وابتدأ الجميع يدورون زمنا طويلا في الشوارع المجاورة حتى لمحوا في آخر الأمر جمعا كبيراً من الناس يقف في شبه حلقة واسعة فاتجهوا صوبهم وأسرع عبد الله افندي يدفع الناس من أمامه بقوة وهو يشق طريقه بصعوبة خلال الزحام وقد حدثته نفسه بمصاب جلل ، وعندما وصل إلى داخل الحلقة لمح على الأرض في داخلها عدداً كبيرا من الجثث ولا تزال الدماء تنزف منها فصرخ في يأس وهو يحس كأن كلابه حديدية تطبق جدرانها على قلبه وتعصره بينها في وحشية وأخذ يدور كالمخبول بين الجثث الملقاة على الأرض ثم وقف آخر الأمر أمام إحداها وانحنى وفي نفسه بقية أمل وقلب الجثة على ظهرها ، وخيل اليه أن السماء قد انطبقت على الأرض عندما طالعه وجه ابنه نصيف وعيناه تحدقان في السماء بنظرات فارغة..

وجلس عبد الله الفندى بجوار جثة ابنه يحتضنها فى جنون وهو يشد شعره ويلطم خديه ويولول كالنساء . . وفجأة نهض على أقدامه ووقف لحظة يتأمل جسد ابنه المخرق بالرصاص ومخه الذى تبعثر على الأرض ، ثم قذف بنفسه خارجا من وسط الجموع الملتفة حول هذا المنظر المروع وانطلق يعدو الطرقات وقد فقد صوابه ...

وفى هذا الوقت كان الأستاذ سعد الدين أبو العينين المحامى يدور فى وسط حلقة من الشباب المتقد حمية وحماسا ، وقد لمعت أنظار الجميع ببريق الاستهتار والتحدى للموت وهم يتجهون فى تصميم نحو العمارة التى تحصن بداخلها الجند الانجليز يمطرون منها الثوار بسيل لا ينقطع من النيران ...

وانضم الى الجموع الزاحفة نحو العمارة الجموع الغفيرة القادمة من الزمالك ومن بينها عبد الباقى الكسناس الذى كان يلوح بمكنسته فى الهواء بحماس ، بينما وقف سوسو بك على بعد قليل منه وفى يده مسدس صغير كان يطلقه كلما لمح وجه أحد الانجليز مطلا من نوافذ العمارة ، وفجأة توقف الجميع عن الزحف عندما ارتفع فى هذه اللحظة من فوق رؤوسهم صوت صرخات وطلقات نارية سريعة ورفعوا أبصارهم إلى أعلا وشاهدوا القروى متولى أبو الحج حسنين ، الذى كان قد نجح فى التسلل إلى أعلا العمارة . وهو يقاتل فى وحشية عدداً كبيراً من الجنود الانجليز تمكن من أن يقذف ببعضهم إلى الأرض قبل أن يلحق بهم بعد أن امتلأ جسده بالرصاص . . . وقبل أن يفيق الجنود المذهولين من المفاجأة تدفق إلى داخل العمارة سيل هائج من الجماهير ، وبعد قليل كان داخل العمارة قد تطهر تماما من الجنود الذين كانوا يرقدون فى هذه اللحظة بجوار جثة القروى متولى أبو الحج حسنين ، بعد أن اختفت أسلحتهم وانتقلت الى أيدى الثوار ... وانفتح الحصار أمام الجماهير الثائرة .

وتخلف سوسو بك قليلا وراء الجماهير وهو يشير إلى الاستاذ سعدالدين أبو العنين المحامى فذهب إليه ورفع الإثنان بينهما جثة القروى متولى أبو الحجج حسنين ومضيا بها إلى أحد المنازل القريبة الذى كانت أبوابه قد فتحت فى هذه اللحظة على مصراعيها ووقف فى مدخله عدد قليل من النساء فى انتظارهم، وبعدأن وضعوا الجثة على فراش فى داخل المنزل وفردوا عليها غطاءا نظيفا، وقفا فى خشوع وأخذا يتلوان صلاة قصيرة ثم اندفعوا خارجين إلى الشارع ودمائهما تغلى فى عروقهم كالحديد المصهور ...

وفى هذا الوقت كان عبد الله افندى الحلو قد وصل إلى شارع بولاق وألقى بنفسه فى جنون فوق أول جندى انجليزى قابله وقد أولاه الغضب والحزن على موت إبنه قوة هائلة، وأطبق بيديه على عنقه ولم يتركه إلا جثة هامدة . وقد حدث كل هذا فى سرعة خارقة ، وقبل أن يفيق الجنود من ذهولهم كان عبد الله أفندى قد تمكن من إختطاف بندقية الجندى القتيل وأخذ يطلق منها الرصاص كيفما اتفق ...

وأصابت رصاصة طائشة «السرجنت ماجور فوكس» الذى كان يدور فى هذه اللحظة وسط جنوده يصرخ فيهم ويحثهم على البطش بالثوار فارسلته يتخبط فى دمائه على الأرض وأراحت جنوده من عناء اطاعة أوامره المتواصلة.. ولحق به عبدالله افندى الحلو بعد بضعة ثوان . .

واستمرت المعركة بعد ذلك زمنا طويلا، وقد انقلبت الشوارع إلى قطعة ثائرة من الجحيم ، ولم يعد يسمع غير اصوات الصراخ والأنين وتأوهات الجرحى مختلطة بدوى المدافع وأزيز الرصاص وهو يتطاير فى الجو ، وامتلأ الهواء فى كل مكان بدخان البارود، وفقد الجميع وعيهم وثارت

فى أعماقهم غريزة أجدادهم الوحشية وانطلقوا من عقالهم وأخذوا يعملون القتل والتذبيح فى كل من يقابلهم من الإنجليز ...

وفى احد الشوارع المتفرعة من ميدان عابدين كان المعلم أبو الفتوح الجزار يقاتل فى جرأة وبسالة وعربيته ويدور بساطوره الكبير مداعبا رؤوس كل من يقابله من الانجليز والرصاص يتساقط من حوله كالمطر، وتدفقت الدماء من كل جزء فى جسده ولكنه لم يتوقف عن القتال، وعندما انكسر الساطور فى يده مضى يبحث لنفسه عن سلاح بين جثث القتلى الانجليز، وقبل أن ينهض بعد أن اطبقت يداه على بندقية أحدهم أصابته رصاصة جعلته ينكفئ على وجهه والدماء تتدفق من جسمه فى غزارة ...

وعلى بعد قليل من المكان الذى سقط فيه المعلم أبو الفتوح الجزار وقف عبد الباقى الكناس وهو يحترق شوقا لاصطياد أحد الجنود، وحبس أنفاسه عندما لمح جماعة منهم قادمة تعدو فى اتجاهه وشرع مكنسته فى يده وهوى بها فى عنف فوق رأس أحدهم، وقبل أن يتمتع طويلا بمرأى رأس الجندى الإنجليزى المحطم أصابته ثلاث رصاصات فى صدره أرسلته إلى الأرض فاقد النطق ...

وفى الناحية الأخرى من الميدان كان المعلم أبو سريع فتوة دربه عبد الخالق يربض فوق سطح أحد المنازل المنخفضة الارتفاع، ويمد يده ليناول إبراهيم افندى خليل الموظف بالحقانية بعض الطلقات ليملأ بها بندقيته، وبعد أن ابتسم الإثنين لبعضهما فى مرح تمدداً على سطح المنزل وابتداء فى اصطياد الانجليز ...

وفى شارع عبد العزيز كان المعلم أبو شنب صاحب صالون الحدادة بحارة القرشى فى السيدة زينب يقاتل لأول مره فى حياته وهو مخمور

من المشاعر التي احس بها تتدفق إلى دمائه عندما اصابته لطمة عنيفة فوق رأسه ودخل إلى أحشائه سونكى حاد من بندقية أحد الجنود الانجليز ..

وتدفق بعد لحظات إلى جميع الشوارع عدد كبير من العربات المصفحة وطوابير طويلة من الجنود الانجليز وفرقة كاملة من راكبي الخيل، وطوق الجيش الانجليزى المكان من جميع الجهات ...

وأطل أحد الفلاسفة من نافذة حجرته ... وإبتسم فى سخرية وهو يرقب طوابير جنود الإنجليز وهى تتدفق بكثرة إلى الشوارع، ثم هز رأسه مشفقاً وقال محدثاً نفسه ...

— يالهم من حمقى ... إنهم يظنون أنهم قادرون بالحديد والنار على خنق ينابيع الحرية التى تفجرت فى القلوب، ولكنهم ... ولا شك ... سيعرفون مقدار خطئهم عندما تنفجر عما قريب السيول المختزنة فى الصدور وتكتسح فى طريقها كل شىء ....

ووقف الفيلسوف لحظة يراقب أسلحة الجنود وهى تلمع فى أشعة الشمس ثم تنهد فى أسى ورجع إلى كتبه ...

وابتدأت جموع الثائرين تنسحب من الطرقات بالتدريج للاستعداد لمقاتلة هذا الجيش العرمرم، وكان الدكتور رامى وهو يسير وسط الجماهير عائداً الى عيادته يدور بعينيه فى كل مكان بحثا عن تمر جيه محجوب حتى عثر عليه فى آخر الأمر ملقى على الأرض فاقداً الحياة فتنهد فى حزن وتابع طريقه إلى عيادته .. وبينما هو سائر فى الطريق وصلت إلى آذانه آنات ألم صادرة من أحد الشوارع فمضى نحوها ووجد سوسو بك وعبد الباقى الكناس راقدين على الأرض والدماء تنزف منهما فأشار إلى بعض المارة وطلب منهم حملهم إلى عيادته ..

وسار الجميع فى صمت لايقطعه غير تأوهات الجرحى فى طريقهم إلى بولاق وهم يسلكون الشوارع الجانبية فى سيرهم حتى وصلوا إلى عيادة الدكتور لمعى بعد أن زاد عدد الجرحى المحمولين على الأكتاف وأصبح يزيد عن الثلاثين شخصا . . .

وغسل الدكتور لمعى يده ووضع معطفه الأبيض فوق ملابسه الممزقة وأقبل على الجرحى وأخذ يعمل فى سرعة وثبات لتخفيف آلامهم ، بينما كان الجمع الغفير الذى خصت به العيادة على آخرها يتحرك فى شتى الأركان بدون أن يحدث أى صوت ليساعد الدكتور لمعى فى مهمته ...

وأطل الناس من النوافذ فى كل مكان وزفرات الحزن والألم تنطلق من صدورهم وأخذ يتأملون جثث القتلى المبعثرة فى الشوارع وقد لمعت أعينهم ببريق رهيب وهم يشاهدون برك الدماء التى تجمعت فى كل مكان ..

وتوارت الشمس خجلى وراء سحاب كثيفة من الغيوم ولم تقبل أشعتها أن تشرق على الخراب والدمار الذى يعم كل مكان فى الأرض تحتها وهى التى تعودت على أن تهبها الحياه ...

وهبط الظلام أخيرا على العاصمة الثاكلة ... وتوارى سكانها خلف جدران منازلهم ... وفى كل عين دمعة ... وفى كل قلب لوعة ...

وابتدأت الرياح تصفر فى الشوارع المهجورة فى عويل حزين كأنها تشارك أهل المدينة أحزانهم ...

وفى كل منزل ... وخلف كل جدار ... ووراء كل نافذة ... وبين جنبات كل كوخ ... كان كل فرد يبكى عزيزا له ... لن يعود ...

وفى عيادة الدكتور لمعى كان الجمع المحيط بالجرحى لا يزال منهمكا فى بذل كل ما يستطيع للتخفيف من آلامهم ، وقد إمتلأت عيونهم بنظرات تنبئ عن شر مستطير ...

وبينما كان الجميع مستغرقون فى عملهم النبيل وقد خيم على جميع أرجاء العيادة صمت رهيب ، لا يقطعة غير أصوات تأوهات الجرحى ، ارتفع فى هدوء الليل من أحد المنازل المجاورة صوت قوى يرتل بعض آيات الذكر الحكيم ...

ورفع الجميع رؤوسهم وأخذوا ينصتون للصوت فى خشوع وإيمان وهو يردد الآية الكريمة .

ـ هم يكيدون كيدا ، وأكيد كيدا ، فأمهل الكافرين ... أمهلهم رويدا . . ! !

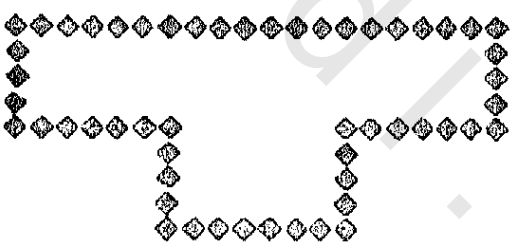

أنها...

اليوم السابع

وكفى...

obeikandl.com

البؤساء

لم يكن يخالجنى قط حين ابتدأت منذ خمسة أعوام تحت تأثير ظروف خاصة فى كتابة البؤساء فكرة نشرها لعدة أسباب أهمها انه كان بين سطورها مايكفى لإتهامى بالترويج لعشرات المبادىء الهدامة التى لا أستحق عليها عقوبة أقل من الحرق حيا فى اكبر ميادين العاصمة ، مثلما كان يحرق السحرة ومحترفى الشعوذه فى العصور الغابرة ، ولكنى الآن وقد تغيرت الظروف استطيع أن أدفع بها الى ايدى القراء بدون أن أخشى شيئا .

وقصة البؤساء هى بحق قصة المجتمع المصرى كما كان يعيش فى الماضى بفجوره ومتناقضاته العجيبة ، وقد حرصت فى أثناء كتابتى لها على تصويرها فى نفس الإطار الدامى الذى رسمه لى أحد أبطالها الذى رواها لى بنفسه فى ذات مساء فى ظروف لا تدعو مجالا الى الشك فى صدقه ، ولم ألو اجهدا فى إبراز حقائقها كما سمعتها منه لتنة بشعة تبعث على الرعب والاشمئزاز فى النفوس وتدفع المرء لأن يتساءل رغما عنه - كيف قبلنا أن نعيش طيلة هذه الأعوام الماضية فى مثل هذا المجتمع العاهر وأن تتمرغ فى أوحال مخازية بدون أن نحرك ساكنا . . . ؟ ! !

وتنقسم قصة البؤساء إلى قسمين كاملين يكون كل قسم منهما رواية قائمة بذاتها ولا يربطهما غير أن القسم الثانى يستمد حوادثه من القسيم الأول وقد كنت أود أن أقول عنهما فى هذة المقدمة الكثير ، ولكنى فضلت أن أترك هذا للقراء ...

نحو أدب جديد ...

إقرأ فى مجموعة (المهربون) القادمة

عفرانك يا أماه ..

إبصق فى وجوه الخونة والمترددين ، وقولى لهم أن رصاص المستعمرين لا يفرق بين أبناء الوطنيين وأبنائهم ... وانهالى ضربا بالنعال على كل من يقف بينك وبين الحرية ... ولاتخشى بأس أحد ... واقسمى على قبور الشهداء - إن لم تعرفى لى قبرا - بأنك لن تعيشى وأبنائك بعد اليوم عـــبدة مطامع بضعة أفراد يسيرونك حسب أهوائهم ...

وصية أحد الأبطال الذين استشهدوا فى معركة الإسماعيلية المشهورة يوم ٢٥ يناير عام ١٩٥٢ ، الى والدته قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

من بين صفوف الشعب ...

يتقـــدم كاتب وطنى ثائر . . .

يغربل التاريخ ويحطم فى إستهتار جميع المعايير المعروفة . . .

ـــ أهذا كل ما استطاع مجلس النواب عمله ردا على هـــذا الاعتداء المهين ؟ ! ! . . ألم يستطيع أن يفعل شيئا غـــير توجيه الشكر إلى مجلس النواب العراقى عـــلى قراره تأييد مصر ومشاركتها فى كفاح الحرية والإستقلال . . ؟ ؟

أين هو الكفاح . . ؟ ! !

وأين هى الحريه . . ؟ ! !

وأين هو الاستقلال . . ؟ ! !

ثلاث اسئلة حائرة قفزت إلى ذهنى فى هـــذه اللحظة وأنا أتأمل باقى العنوان الكبير الذى يذكر أن نائب الاسماعيلية اعتذر عن الحضور لمنع السفر إلى مصر بدون تصريحات بريطانية . . .

ماهذا التناقض العجيب . . ؟ ! !

مجلس النواب المصرى يوجه شكره إلى مجلس النواب العراقى على قراره تأييد مصر ومشاركتها فى كفاح الحرية والإستقلال ، وفى السطر الذى يليه مباشرة نبأ أحد النواب الذى لم يستطيع الحضور لأنه لم يتمكن من الحصول على ترخيص بريطانى بالإنتقال داخل حدود بلاده ، وفى الصحيفة

الأولى ثلاث صور مخربة يرسل مرآها إلى العيون سهاما مسمومة ، وبعد كل هذا يتحدثون عن . . الكفاح . . والحرية . . والإستقلال . . ! !

هل هذه مجرد كلمات جوفاء لا تعنى شيئا . . .

هل استطاع نائبا السويس وبورسعيد الحصول على تصريحات من من القوات البريطانية وتمكنا من حضور اجتماع مجلس النواب الخطير ومشاركته فى جلسته التاريخية الهامة والموافقة على توجيه الشكر إلى مجلس النواب العراقى . . ؟

اقرأ كل هذا وغيره من المفارقات العجيبة التى كانت تحدث فى العهود الماضية ونمر عليها بأنظارنا بدون أن نعيرها التفاتا . . .

فى العدد القادم

المهرجون

أسلوب جديد — قلم جرىء

بقلم

مصطفى كمال مدحى

من قال هذا ...؟

دعنى أسدى اليك نصيحة يابنى ... إن الغاية لاتهم بقدر مايهم الدافع اليها والغرض منها ... وما دمنا مؤمنون بما نقاتل فى سبيله ، فلن نتردد عن استعمال أى سلاح لنصل الى ما نطمح اليه من ... الحرية ، والكرامة ، والإستقلال ...

أقرأ ذلك فى العدد القادم ....

obeikandl.com

قريباً جداً..

القسم الأول

البَيقُ الكبير

obeikandl.com

﴿ أدب الثورة ﴾

يتحدثون اليوم كثيرا عن الأدب الجديد ، وأنا حين اتساءل عن النوع الذى يجب أن يكون عليه هذا الادب لا أجد نفسى بحاجة إلى البحث عن جواب ، لانى أجد الهدف واضحا أمامى ولا يحتاج الى كل هذه الحيرة .

إن نوع الأدب الذى يجب أن يسود وبخاصة فى مثل هذه الظروف التى تجتازها بلادنا هو الادب الثائر الذى لا يقف أمامه شىء وان عظم . . .

الأدب الساخط على مخازى الماضى ومساوئه الأدب الملتهب الذى ينتهض الهمم ويطهر الذمم ويعد الاذهان للمعركة الفاصلة المنتظرة بيننا وبين قوات الإحتلال التى تجثم فوق صدورنا

الأدب الذى يبلبل أفكار المستعمر ويفقده صوابه ويجعلنا نربح فى غير مشقه تلك المعركة من حرب الأعصاب التى يشنها علينا الإنجليز وأعوانهم

وأنا لا أعنى بهذا انه يجب علينا أن نطلق كل انواع الأدب ماعدا هذا واتما أعنى انه يجب علينا جميعا أن نتحول مؤقتا الى ابواق ثائرة ساخطه لاعنه تصرخ فى آذان النائمين وتنير الطريق أمام العقول الجامدة التى لا تزال متأثرة بتعاليم الأستعمار . . .

يجب علينا أن نثور ونغضب وأن نترك مشاعرنا تفور وتغلى لتتدفق الكلمات من أطراف اقلامنا ملتهبه مثل الحديد المصهور . .

يجب علينا أن نثور فبغير الثورة لن نصل الى ماننعم فيه من الحرية والكرامة والأستقلال فان الحرية لا توهب وإنما تؤخذ بالقوة ولم نسمع قط أن الحرية قد طرقت أبواب المستضعفين والمتخاذلين

هذا هو مايجب علينا عمله اليوم حتى أن يتحقق لبلادنا مانرجوه لها من الرخاء والقوة ، وبعد ذلك يمكننا أن نطرق جميع أبواب الأدب ونسبح فى اجوائه بعقول متحررة من الرياء والنفاق نافرة من الابتذال

هذا واجبنا فلنسارع الى تأديته بكل ماتملك من قوة اذا كنا جادين حقا فيما ندعيه من الغيره على مصالح بلادنا ؟

م . ك . حمدى